نظرية الجوهر الفرد عند المتكلمين. حقيقتها وتاريخها
والأخطار العقدية المترتبة على الاعتقاد بها

الدكتور/ سعيد محمد حسين معلوي

أستاذ العقيدة المساعد- كلية الشريعة وأصول الدين- جامعة الملك خالد

ملخص البحث

هذا البحث يلقي الضوء- بعد عون الله وتيسيره- على عقيدة رئيسة من عقائد جمهور المتكلمين, وهي: الاعتقاد بأن الأجسام تتناهى في الصغر إلى حد لا تقبل بعده الانقسام, وبنوا على هذه العقيدة فروعاً أخرى, منها: إثبات حدوث العالم عن طريق إثبات حدوث الجواهر والأعراض, ونفي صفات الله تعالى عن طريق اعتقادهم بتماثل الجواهر, ونفي الخلق من عدم, كما سيتضح في ثنايا هذا البحث. وقد ركز الباحث على بيان حقيقة هذه النظرية, وتاريخها, وخطورتها, وموقف السلف الصالح منها, مع بيان منزلة هذه النظرية في ضوء العلم الحديث, والله تعالى أسأل السداد والتوفيق, إنه سميع مجيب. وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد, وعلى آله وصحبه وسلم.

Theory of the essence of the individual speakers at the reality and the history and the dangers arising from the nodal figuring out Discuss of the preparation

Dr. Saeed Mohammed Hussein Malwi
Assistant Professor of Religion, Faculty of Shariah and Fundamentals of Religion at King Khalid University

Abstract:

This research highlights - After God's help and facilitation - on the doctrine of the President of the dogmas of the public philosophers, namely: the belief that objects become expired at a young age to some extent will not be accepted after the split, and built on this belief other sections, including: proof of the world by showing a gem symptoms, and denied the attributes of God through belief similarity of essences, and not to deny the creation of, as will become clear in the course of this research. He will talk about his research, a researcher at the statement of the truth of this theory, history, and gravity, and the position of Ancestors of them, with an indication of the status of this theory in the light of modern science, and ask God payment and conciliation, he listens and responds. May Allah send blessings and peace upon our Prophet Muhammad, and his family and grant him peace.

المقدمة:

الحمد لله حمداً يليق به سبحانه, وأصلي وأسلم على من بعثه ربه هادياً ونصيراً, نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً, ثم أما بعد: فإن القول بالجوهر الفرد من البدع التي أحدثها المتكلمون من المعتزلة والأشاعرة والماتريدية، فبدأت معالمها عند المعتزلة, ثم تلقفتها منهم الأشاعرة والماتريدية, ولا تزال لها أهميتها عند المتكلمين في عصرنا الحاضر[1], ولقد أصبح الاعتقاد بالجوهر الفرد من المسلمات العقدية عند أغلب المتكلمين, ومن هذا الباب وغيره كان لابد من بيان القول الحق في مثل هذه القضايا العقدية, فما كان من تسديد وتوفيق وصواب فهو من الله وحده, وما كان من خطأ, فاستغفر الله منه, والله المعين وهو المستعان, وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

مضمون النظرية:

ذهب المتكلمون ((إلى انتهاء الانقسام إلى جزء لا يتجزأ عقلاً في الخارج, وإن لم يُرَ هذا الجزء الذي لا يتجزأ إلا بانضمامه إلى غيره, فهو يدرك بالعقل لا بالفعل؛ لعجز الإنسان عن الوصول إليه بالفعل, وعَبَّروا عنه بالنقطة, ومَثَّلوا لذلك عقلاً: بوضع كرة حقيقية على سطح حقيقي, فإنها لا تماسُّه إلا بجزء غير منقسم, إذ لو ماسّته بجزأين؛ لكان فيها مستقيمٌ, أو سطحٌ مستوٍ, فلا تكون الكرة حقيقية))[2]. فالمخلوقات –عند المتكلمين– تتناهى في التجزئة إلى أجزاء لا تتجزأ.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

تتضح أهمية هذا البحث، وأسباب اختياره في النقاط الآتية:

أولاً– اعتقاد بعض أئمة المتكلمين بأن من لا يؤمن بالجوهر الفرد ليس له في الإسلام نصيب, ومن ذلك قول أبي المعالي الجويني في معرض حديثه عن الفلاسفة, والنظام الذين أنكروا الجوهر الفرد: إن إنكار الجزء الذي لا يتجزأ يؤدي ((إلى هدم قواعد الدين))[3]. وزعم أن المنكر لها أو بعضها من الملاحدة، فقال: ((ذهبت طوائف من

---

١) ينظر– على سبيل المثال– بعض مؤلفات الأشاعرة المعاصرين: عون المريد لشرح جوهرة التوحيد, عبدالكريم تتان, ومحمد أديب الكيلاني: ١/٢٣٣ , وتهذيب شرح السنوسية, سعيد عبداللطيف فودة: ص٩٥–١٠١ , وعقائد الأشاعرة, صلاح الدين بن أحمد الإدلبي: ص٩١ , وينظر للماتريدية المعاصرين: جامع اللآلي شرح بدء الأمالي, محمد أحمد كنعان: ص١٢٩.

٢) جامع اللآلي شرح بدء الأمالي, محمد أحمد كنعان: ص١٢٩.

٣) الشامل في أصول الدين: ص١٤٣.

الدهرية ونفاة الصانع إلى نفي الأعراض))[٤]. وقال عبدالقاهر البغدادي- وهو يحكي إجماع الأشاعرة في العقائد- ((وأكفروا النظام والفلاسفة الذين قالوا بانقسام كل جزء إلى أجزاء بلا نهاية؛ لأن هذا يقتضي ألا تكون أجزاؤها محصورة عند الله تعالى))[٥].

يقول الغزالي: ((من أشد الناس غلواً وإسرافاً طائفة من المتكلمين, كفروا عوام المسلمين, وزعموا أن من لا يعرف الكلام معرفتنا, و لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا التي حررناها, فهو كافر, فهؤلاء ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده أولاً, وجعلوا الجنة وقفاً على شرذمة يسيرة من المتكلمين، ثم جهلوا ما تواتر من السنة ثانياً)) [٦].
وقال ابن تيمية: ((وأعجب من هذا أنهم يجعلون إثبات الجوهر الفرد دين المسلمين حتى يعد منكره خارجا عن الدين كما قال أبو المعالي وذووه))[٧]. وقال رحمه الله: ((وأصل هؤلاء المتكلمين- من الجهمية المعتزلة ومن وافقهم- الذي بنوا عليه هذا هو مسألة الجوهر الفرد. فإنهم ظنوا أن القول بإثبات الصانع, وبأنه خلق السموات والأرض, وبأنه يقيم القيامة, ويبعث الناس من القبور, لا يتم إلا بإثبات الجوهر الفرد, فجعلوه أصلا للإيمان بالله واليوم الآخر))[٨]. وقال القحطاني في نونيته:

هذا الجُوَيهِرُ والعُرَيضُ بزعمكم　　أهما لمعرفة الهدى أصلان؟
من عاش في الدنيا و لم يعرفهما　　وأقر بالإسلام والفرقان
أفمسلم هو عندكم أم كافر　　أم عاقل أم جاهل أم واني[٩]

ثانياً- سبَّبَ القولُ بالجوهر الفرد بلبلة في عقائد المتكلمين, وأصبحوا في حيرة وشك مما هم فيه, قال أبو حامد الغزالي: ((لما نشأت صنعة الكلام، وكثر الخوض فيه، وطالت المدة، تشوق المتكلمون إلى محاولة الذب عن السنة، بالبحث عن حقائق الأمور، وخاضوا في البحث عن الجواهر والأعراض وأحكامها. ولكن لما لم يكن ذلك

---

٤) الشامل في أصول الدين: ص١٦٨.
٥) الفرق بين الفرق, للبغدادي:ص٣٢٨.
٦) فيصل التفرقة بين الكفر والزندقة, لأبي حامد الغزالي (ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي): ص٢٦٩.
٧) بيان تلبيس الجهمية: ٢/٢٤٨. وينظر مقدمة ابن خلدون: ص٥٨٩.
٨) بيان تلبيس الجهمية: ٢/٢٤٣. وينظر لابن تيمية أيضاً: جامع المسائل, المجموعة الخامسة,: ص١٧١.
٩) نونية القحطاني: ص ٥١

مقصود علمهم، لم يبلغ كلامهم فيه الغاية القصوى، فلم يحصل منه ما يمحق بالكلية ظلمات الحيرة في اختلافات الخلق))[١٠]. وقال أبو الوفا بن عقيل: ((وقد أفضى الكلام بأهله إلى الشكوك، وكثير منهم إلى الإلحاد، تشم روائح الإلحاد من فلتات كلام المتكلمين))[١١].

ثالثاً– استماتة جمهور المتكلمين في الدفاع عن هذه النظرية التي تخالف الحس والعقل, وإحاطتها بهالة مقدسة, لا يجوز– في نظرهم– التعدي عليها, أو التشكيك فيها. قال الشيخ الهراس رحمه الله: ((وهذا دليل بين على فساد هذه الخرافة التي نسجتها أوهام المتكلمين. ومن العجيب أنهم تلقوها عبر الأعصار والقرون جيلا بعد جيل, وكلهم مصر عليها محافظ على قدسيتها وجلالها؛ لأنهم يعلمون أنه إذا انهارت زال بنيانهم كله من القواعد, وطار كل ما بنوه عليها من خرافات وأوهام))[١٢].

رابعاً– بيان موقف السلف في مثل هذه القضايا العقدية, وأنه الأسلم والأعلم والأحكم, بخلاف موقف غيرهم من المخالفين, الذين عطلوا نصوص الكتاب والسنة, وحملوها ما لا تحتمله.

دراسات سابقة:

- فكرة الجوهر في الفكر الفلسفي الإسلامي, د.سامي نصر لطف. طرق المؤلف الموضوع من جانب فلسفي بحت, وذكر موقف الفلاسفة من الجوهر الفرد.

- التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي, د.منى أحمد أبوزيد[١٣]. تحدث المؤلف عن الموضوع من وجهة نظر المتكلمين وموقف الفلاسفة منهم, مع دفاعه في الغالب عن مذهب الأشاعرة.

والذي يميز بحثي هذا، هو اختصاصه ببيان مذهب السلف, وموقفهم من الاعتقاد بالجوهر الفرد, كما يتميز أيضاً بذكر الأخطار العقدية المترتبة على الاعتقاد بالجوهر الفرد, فضلاً عن بيان موقف العلم في العصر الحديث من نظرية الجوهر الفرد.

---

١٠ المنقذ من الضلال, للغزالي: ص٩٢-٩٣.

١١ تلبيس إبليس لابن الجوزي: ص١٠٥.

١٢ شرح القصيدة النونية, محمد خليل هراس: ٢٩/٢.

١٣ تنظر بيانات هذا الكتاب والكتاب السابق في قائمة المراجع.

خطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة وأربعة مباحث وخاتمة. والمباحث هي:

المبحث الأول: في بيان حقيقة الجوهر الفرد وصفاته.

المبحث الثاني: تاريخ القول بالجوهر الفرد.

المبحث الثالث: الأخطار العقدية المترتبة على الاعتقاد بالجوهر الفرد.

المبحث الرابع: حكم الاعتقاد بالجوهر الفرد.

المبحث الأول: في بيان حقيقة الجوهر الفرد وصفاته

المطلب الأول: معنى الجوهر الفرد في اللغة، وفي اصطلاح المتكلمين

أولاً- معنى الجوهر الفرد في اللغة:

الجوهر في الأصل: حجر يُستخرج منه شيءٌ يُنتفع به, نُقل في الاصطلاح إلى المعنى المذكور؛ لأنه يُستخرج منه الخواص والأعراض التي يُنتفع بها. والجوهر من الشيء: حقيقته وذاته, وهو ما خلقت عليه جبلته. وقيل مشتق من الجهر, بمعنى الظاهر وجوده, ويحتمل أن يكون من الجوهر بمعنى حسن الهيئة وجمال المنظر[14].

ثانياً- معنى الجوهر عند المتكلمين:

العبارات التي استخدمها المتكلمون حول الجوهر الفرد هي: الجزء, الجزء الواحد, الجزء الذي لا يتجزأ, الجوهر, الجوهر الواحد, الجوهر الواحد الذي لا ينقسم, الجوهر المنفرد[15]. وللمتكلمين عدة تعاريف للجوهر, من أهمها مايلي:

---

١٤ ينظر لسان العرب, مادة «جهر»: ٤/١٥٢, والقاموس المحيط, مادة «جهرة»: ص ٤٧٢, والمعجم الوسيط, مادة «جوهر»: ص١٤٩. وتشنيف المسامع, للزركشي: ٤/٦٤٩. وشرح المواقف للجرجاني: ٦/٢٧٤.

١٥ يظر: لمع الأدلة, للجويني: ص٨٧. و الشامل, للجويني: ص١٤٢-١٤٣. والمسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين, لأبي رشيد النيسابوري: ص٥٩-٦٢, والتذكرة في أحكام الجواهر والأعراض, لابن متويه: ص٤٧. والغنية في أصول الدين, للمتولي: ص٥٠. والمبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين, للآمدي: ص١٠٩-١١٠, وأبكار الأفكار, للآمدي: ٣/٥٥, وشرح العقائد النسفية: ص٢٦-٢٧. والتمهيد لقواعد التوحيد, أبو الثناء اللامشي: ص٤٦. والإيضاح في أصول الدين, لابن الزاغوني: ص١٨٧. وشرح العقيدة البرهانية, للعقباني: ص٤٦.

يعرف ابن متويه الجوهر بأنه: ((ما له حيز عند الوجود, والمتحيز هو المختص بحال لكونه عليها يتعاظم بانضمام غيره إليه, أو يشغل قدراً من المكان, أو ما يقدر تقدير المكان, فيكون قد حاز ذلك المكان, أو يمنع غيره من أمثاله عن أن يحصل بحيث هو, فهذه وما أشبهها أحكام المتحيز، فأفراد ما هذا حاله تسمى جوهراً, ومن هذه الأعيان تتركب الأجسام, فلهذا تجعل الجواهر أصول الأجسام))[١٦].

ويقول الجويني: ((فإن قيل: ما حد الجوهر؟.. فنقول: الجوهر المتحيز. وقيل: الجوهر ماله حجم. وقيل: الجوهر ما يقبل العرض))[١٧]. ويعرفه المتولي بأنه ((كل ذي حجم متحيّز..., والجوهر الفرد هو الجزء الذي لا يتصور تجزئه عقلاً, ولا تقدير تجزئه وهماً))[١٨]. وقيل: ((الجوهر هو الجزء الذي لا يتجزأ لا فعلاً, ولا وهماً. وحده: أنه القائم بالذات القابل للصفات المتضادات على سبيل البدل, كالحركة والسكون, والسواد والبياض, ونحوها))[١٩]. وقيل: ((الجوهر هو ما أخذت ذاته قدراً من الفراغ. والفراغ هو الحيز وهو موهوم عند المتكلمين))[٢٠]. والمراد بالمتحيز عند المتكلمين هو الذي يشار إليه إشارة حسية[٢١].

فخلاصة ما سبق: أن تعاريف الجوهر تنحصر في خمسة هي: متحيز, أي: يشار إليه إشارة حسية, فلا جوهر عند المتكلمين إلا المتحيز, أي القابل بالذات للإشارة الحسية, ويقوم بنفسه فلا يقوم بغيره كالعرض, وله حجم, ويقبل العرض, ولا يقبل الانقسام. والجوهر يمثل أصغر أجزاء الجسم, إذ الجسم عند جمهور المتكلمين هو المؤلف من الجواهر.

المطلب الثاني: صفات الجوهر الفرد:

نقل الأشعري عن عباد بن سليمان من المعتزلة قوله: ((أن الجزء الذي لا يتجزأ: شيء لا طول له ولا عرض

١٦ التذكرة, لابن متويه: ص٤٧. وينظر مقالات الإسلاميين للأشعري: ص٣٠٢-٣٠٤, والغنية في أصول الدين: ص٥٠, وشرح العقيدة البرهانية, للعقباني: ص٤٦.

١٧ لمع الأدلة, للجويني: ص٨٧. وينظر الشامل, للجويني: ص١٤٢-١٤٣.

١٨ الغنية في أصول الدين, للمتولي: ص٥٠. وينظر المبين, للآمدي: ص١٠٩-١١٠, وشرح العقائد النسفية: ص٢٦-٢٧.

١٩ التمهيد لقواعد التوحيد, أبو الثناء اللامشي: ص٤٦. وينظر الإيضاح في أصول الدين, لابن الزاغوني: ص١٨٧. وأبكار الأفكار, للآمدي: ٣/٥٥.

٢٠ النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب, للوزاني: ٢/٥٠.

٢١ ينظر: الباقلاني وآراؤه الكلامية, د. محمد رمضان عبدالله: ص٣٢٣.

ولا عمق, وليس بذي جهات, ولا مما يشغل الأماكن, ولا مما يسكن, ولا مما يتحرك, ولا يجوز عليه أن ينفرد... ولا يجوز عليه الحركة والسكون, والكون والإشغال للأماكن, وليس بذي جهات, ولا يجوز عليه الانفراد))[٢٢]. وحكى عن آخرين قولهم: ((إن الجزء قائم إلا أنه لا يقوم بنفسه ولا يقوم بشيء من الأشياء أقل من ثمانية أجزاء لا تتجزأ، فمن سأل عن جزء منها فإنما يسأل عن إفراده وهو لا ينفرد ولكنه يعلم))[٢٣]. وذكر الأشعري أن ((الجبائي يثبت الجزء الذي لا يتجزأ ويقول إنه يلقي بنفسه ستة أمثاله ويجيز عليه الحركة والسكون واللون والكون والمماسة والطعم والرائحة إذا كان منفرداً وينكر أن يحله طول أو تأليف وهو منفرد أو يحله علم أو قدرة أو حياة وهو منفرد.. وقال هشام الفوطي بإثبات الجزء الذي لا يتجزأ غير أنه لم يجز عليه أن يماس أو يباين أو يرى))[٢٤].

وذكر الأشعري عن طائفة من المعتزلة قولهم: ((تتجزأ الأجزاء حتى تنتهي إلى جزأين فإذا هيئت لقطعهما أفناهما القطع، وإن توهمت واحداً منهما لم تجده في وهمك ومتى فرقت بينهما بالوهم وغير ذلك لم تجد إلا فناءهما))[٢٥]. فما ((من جزء من الأجسام إلا وقد يقسمه الوهم بنصفين))[٢٦].

ولذلك فإن الجوهر – عند المتكلمين – ثابت في الخارج حتى وإن لم يُرَ: ((والجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ ثابت في الخارج وإن لم يُرَ إلا بانضمام غيره إليه))[٢٧].

على أن بعض المتكلمين من المعتزلة قالوا بأن الجزء الذي لا يتجزأ يُرى بصورة هي غاية في الصغر حتى لا يكاد يُرى, فقد ذكر ابن متويه أن أبا علي الجبائي قال بإدراكه وهو منفرد: ((فالذي قاله الشيخ أبو علي أنه يصح منا أن نراه عند قوة الشعاع على ما يرى المحتضر أجسام الملائكة))[٢٨].

وهذه الصفات التي ذكرها المتكلمون للجوهر الفرد تجعله أشبه بالمعدوم, أو هو جزء في الذهن لا في الواقع المشاهد, وأقل أحواله أن يكون الجزء الذي لا يتجزأ عبارة عن نقطة رياضية.

٢٢ مقالات الإسلاميين: ص٣١٦.
٢٣ المصدر السابق: ص٣١٦.
٢٤ المصدر السابق: ص٣١٥.
٢٥ مقالات الإسلاميين: ص٣١٧.
٢٦ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد, للخياط: ص٣٣, وينظر الكتاب نفسه: ص٣٤-٣٥, ٥٥.
٢٧ النشر الطيب على شرح الشيخ الطيب, للوزاني: ٢/٥٠.
٢٨ التذكرة, لابن متويه: ص١٨٤.

يقول ابن الوزير: ((الظاهر أن النقطة في عُرف هؤلاء[٢٩] هي الجوهر في عرف المعتزلة))[٣٠]. إذ من صفات النقطة عند المتكلمين أنها لا تنقسم أصلا[٣١]. يقول أبو المعالي الجويني: ((اتفق الإسلاميون على أن الأجسام تتناهى في تجزئها حتى تصير أفراداً, وكل جزء لا يتجزأ فليس له طرف واحد وجزء شائع لا يتميز, وإلى ذلك سار بعض المتعمقين في الهندسة, وعبروا عن الجزء بالنقطة, وقطعوا بأن النقطة لا تنقسم))[٣٢]. ويقول الرازي: ((النقطة شيء موجود مشار إليه بحسب الحس, غير منقسم, وإذا ثبت هذا, فنقول: هذا الشيء إما أن يكون جوهراً أو عرضاً, وباطل أن يكون عرضاً, فبقي أن يكون جوهراً, ولا معنى للجوهر الفرد إلا ذلك))[٣٣].

وتعتبر أهم صفة عند القائلين بالجوهر الفرد هي كونه متحيزاً. والحيز: مكان لجوهر مقدر, والمراد: أنه لا يجوز أن يوجد غيره في ذلك المكان[٣٤]. فالمتحيِّز: ((ما تكون ذاته تشغل فراغاً وتعمِّره, بحيث تمنع غيرها أن يشغل ذلك الفراغ, مثل الحجر, فإن ذاته قد ملأت فراغاً, ومنعت أن يحصل في ذلك الفراغ شاغلٌ له غيرها))[٣٥]. وغير المتحيِّز هو: ((ما لا يكون كذلك, مثل العلم والجهل, فإنه لا يملأ فراغاً ولا يشغله, بل الفراغ الذي تشغله ذاتُ زيدٍ مع ما قام بها من علم أو جهل هو عين الفراغ الذي تشغله لو قُدِّرَت خاليةً عن العلم والجهل, ولا ينقص من ذلك الفراغ شيئاً))[٣٦].

أما عند الأشاعرة فيذكر الجويني أن للجوهر صفات واجبة مثل التحيز, مع صحة قبول العرض, وصفات جائزة مثل وجود الأعراض المتغيرة فيه, وصفات ترجع إلى ذاته مثل وجوده وحدوثه, وهما

٢٩ يقصد الأشاعرة.
٣٠ العواصم والقواصم, لابن الوزير: ٤/١٥٦.
٣١ ينظر مفاتيح العلوم, للخوارزمي: ص١٨٨, والحدود لابن سينا: ص١٣٩, والحدود للغزالي: ص٢٠١.
٣٢ الشامل: ص١٤٣. وينظر: أبكار الأفكار, للآمدي: ٣/٦١.
٣٣ المطالب العالية, للرازي: ٦/٥٦. وينظر: الأربعين في أصول الدين, للرازي: ٢/٢٤٩.
٣٤ ينظر: الإنصاف, للباقلاني: ص٢٧, والغنية للمتولي: ص٥٠, والشامل في أصول الدين, للجويني: ص١٥٦.
٣٥ شرح العقيدة البرهانية, للعقباني: ص٤٦. وينظر الشامل, للجويني: ص١٥٦.
٣٦ شرح العقيدة البرهانية: ص٤٦. وينظر: المسائل في الخلاف: ص٦١. والتذكرة: ص٧٧, والكامل في الاستقصاء: ص١٧١-١٧٢.

ليستا صفتين زائدتين. وصفات مستحيلة مثل خروج الجوهر عن صفة نفسه, فإن فيه انقلاب جنسه[٣٧].

كما ذهب جمهور المتكلمين إلى ضرورة وجود الخلاء. والخلاء في تعريف المتكلمين: وجود جوهرين بحيث لا يتماسان ولا يكون بينهما ما يماسانه[٣٨], فالخلاء: بعدٌ ما, أو أبعاد لا شيء فيها أصلاً, خالية من كل جسم, عادمة لكل جوهر[٣٩], وبعبارة أوضح: هو ((الفُرَج بين الأجزاء, واستدلوا عليه بالماء الذي يصب على الأرض فيغوص فيها))[٤٠].

والخلاء ضروري للقول بالجوهر الفرد عند المتكلمين, وذلك أنه إذا كان العالم ملاء من تلك الأجزاء, لاستحالت الحركة والكثرة, ولما تمايزت الجواهر, ولا يمكن اجتماع تلك الأجزاء وافتراقها إلا بحركتها[٤١].

ومن صفات الجوهر الفرد عند المتكلمين: قبوله للصفات المتضادات على سبيل البدل, وهذه الصفات يطلقون عليها اسم:»الأكوان» وهو اسم للاجتماع والافتراق والحركة والسكون[٤٢]. فالجواهر لا تخلو عن الحركة والسكون, والاجتماع والافتراق هذه الأربعة هي الأكوان, وهي كلها أعراض[٤٣].

فالافتراق: تباين الجوهرين حتى يكون لثالث بينهما مكان. والاجتماع: كون جوهر بجنب جوهر, بحيث ليس بينهما حيز. والحركة: هي الانتقال من مكان إلى آخر. والسكون: هو القرار في مكان واحد زمانيين فصاعداً[٤٤].

---

٣٧ ينظر: الشامل في أصول الدين: ص١٦٥.

٣٨ ينظر: محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين, للرازي: ص٣٠٨. والأربعين في أصول الدين, له أيضاً: ٢/٢٦٦.

٣٩ ينظر: دلالة الحائرين, موسى بن ميمون: ص١٩٧.

٤٠ البدء والتاريخ للمقدسي: ١/٤٢.

٤١ ينظر: المسائل في الخلاف, لأبي رشيد النيسابوري: ٤٧-٥١, والتذكرة, لابن متويه: ص١١٦-١٢٤, والمواقف, للإيجي: ص١١٧-١٢٠. ودلالة الحائرين, لابن ميمون: ص١٩٧. والمحصل للرازي: ص٣٠٨-٣١٠. والأربعين في أصول الدين, له أيضاً: ٢/٢٦٦-٢٧٠.

٤٢ ينظر: الغنية, للمتولي: ص٥٠, والإرشاد, للجويني: ص٣٩, وشرح العقائد النسفية, للتفتازاني: ص٢٨, والتمهيد لقواعد التوحيد: ص٤٦.

٤٣ شرح العقيدة البرهانية, للعقباني: ص٥٩.

٤٤ تبصرة الأدلة في أصول الدين, لأبي المعين النسفي: ١/٦٥.

يقول ابن متويه: ((اعلم أن الجوهر يجوز خلوه من جميع ما يصح وجوده فيه من لون وطعم ورائحة وغيرها, وإنما نحيل وجوده عارياً عن الكون.. لأنه لا يجوز وجوده غير متحيز, ولا يجوز وجود المتحيز إلا في جهة, ولا يحصل كذلك إلا بكون))(٤٥).

المطلب الثالث: شكل الجوهر الفرد:

ذهب جمهور المعتزلة, وبعض المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية إلى أن للجوهر الفرد شكلاً, وهذا الشكل إما أن يكون مربعاً, أومثلثاً أومدوراً (دائرياً), والقول بالمربع هو قول الأكثرية, وفي مقدمتهم أبو الهذيل العلاف, وهو قول للباقلاني في بعض كتبه(٤٦). ويعلل أصحاب هذا القول اختيارهم المربع دون سواه, لأنه أكثر الأشكال انتظاماً, ولأن المثلث والمدور لا يتأتى فيهما انتظام الجواهر الفردة إلا بخلل وفرج, كذلك فالجزء لا يصح أن يلاقي غيره بأكثر من ستة أمثاله من ست جهات, وأن ما يزيد على ذلك لا يصح أن يلاقيه الجزء الواحد(٤٧).

قال ابن متويه: ((والقول في أنه يلقى ستة أمثاله مبني على أنه إذا شبه الجزء بشيء من الأشكال فهو بالمربع أشبه. ونعني به أن هذا الشكل هو المختص من بين سائر الأشكال أن تتساوى جوانبه وأطرافه حتى لا تتفاوت, فكذلك الجزء يجب تساويه من أي جهة نظر إليها الرائي... يبين هذا هو أنه لو شبه بالمثلث لرئي من أحد الجوانب كأنه أكبر من الجانب الآخر, فإن هذا حال المثلث, وكان لا تتركب الأجسام إلا على وجه التضريس دون الاستقامة. ولو شبه بالمدور. لكان يجب أن لا يصح تآلف الأجزاء على وجه الاكتناز حتى لا يقع بينها خلل, فإن المدورة إذا ضمت إلى مثلها حصلت بينهما فرجة فتؤدي إلى أن هاهنا ما هو أصغر مقدارا من الجزء))(٤٨).

أما جمهور الأشاعرة والماتريدية, فقالوا :إن ((الجوهر الفرد لا شكل له))(٤٩), قال الإيجي: ((الجوهر الفرد لا شكل له باتفاق المتكلمين))(٥٠). وذلك ((لأن المشاكلة اتحاد في الشكل, فما لا شكل له كيف يشاكل

٤٥ التذكرة, لابن متويه: ص١٢٤.
٤٦ كما نقله عنه الجويني في الشامل في أصول الدين: ص١٥٩.
٤٧ ينظر: التذكرة, لابن متويه: ص١٧٣-١٧٥, والشامل في أصول الدين: ص١٥٨-١٥٩.
٤٨ التذكرة, ابن متويه: ص١٧٣. وينظر: الشامل في أصول الدين: ص١٥٨-١٥٩.
٤٩ الشامل: ص١٥٨, والمواقف للايجي: ص١٨٢. وكشاف اصطلاحات الفنون (مادة جوهر): ٢٠٥/١, وشرح المواقف: ٢٧٩/٦.
٥٠ المواقف للايجي: ص١٨٢. وينظر: كشاف اصطلاحات الفنون (مادة جوهر): ٢٠٥/١.

غيره))[٥١]. هذا إذا كان فرداً أما في حالة انضمام جوهر آخر إليه فإنه يصبح جزءاً من شكل ما[٥٢].

ودعوى الاتفاق فيها نظر، فقد نقل الجويني في الشامل أن بعض المتكلمين شبه الجوهر ببعض الأشكال: إما بالمدور, وإما بالمثلث, وإما بالمربع, وأن الباقلاني رجح المربع[٥٣].

قال الآمدي: ((ما وقع عليه اتفاق المتكلمين من نفي الشكل عن الجوهر الفرد فيه نظر. فإنه إذا كان الشكل هو ما يحيط به حد واحد, أو حدود على ما قيل, والحد هو النهاية؛ فلا يخفى أن الجوهر الفرد له نهاية, وحد محيط به. وذلك الحد: إما أن يكون واحداً, أو متعدداً. فإن كان الأول: فهو كري. وإن كان الثاني: فهو مضلع))[٥٤].

المطلب الرابع: مساحة الجوهر الفرد:

ذهب أبو هاشم الجبائي وغيره من معتزلة البصرة إلى أن لكل جزء قسطاً من المساحة, وذلك، لأنه من المحال عقلاً أن يتألف جسم ذو أبعاد ثلاثة من أجزاء لا مساحة لها؛ فلابد أن يكون للجزء الذي لا ينقسم قسط من المساحة صفة له, ويضرب أبو رشيد النيسابوري مثالاً للدلالة على أن المساحة صفة ذاتية للجوهر وليست ناتجة عن التأليف بين الجواهر, بجسم طوله عشرين ذراعاً قُطِّع إلى عشرين قطعةً, فلا تتناقص مساحته لتناقص تأليفه. وإذا قيل إن المساحة ترجع إلى التأليف فقط, فيلزم منه أن ((الجزأين يجوز أن يجتمع منهما من التأليف مثل ما في سائر أجزاء الدنيا, فكان يجب أن تكون مساحتهما مثل مساحة الدنيا... فقولنا إن له قسطاً من المساحة: ما يختص به من الصفة, التي لأجلها يصح أن تتعاظم الجواهر, بانضمام البعض إلى البعض... ولا يجوز أن يقال إنما لا تحصل إلا إذا وجد فيه التأليف))[٥٥].

ومن أدلة معتزلة البصرة على أن للجوهر الفرد مساحة: أنه يستحيل أن تتوهم في وسط الدائرة أكثر من جزء واحد لا ينقسم, يقول ابن متويه: ((لو تصورنا دائرة وُضِعَ في وسطها جزء, ووضع بجنبه جزء آخر, فليس بُعْد هذا

٥١　المواقف للايجي: ص١٨٢, وكشاف اصطلاحات الفنون (مادة جوهر): ٢٠٥/١.
٥٢　ينظر: الشامل في أصول الدين: ص١٥٩.
٥٣　ينظر: الشامل في أصول الدين: ص١٥٨-١٥٩.
٥٤　أبكار الأفكار: ٧٥/٣. وينظر: شرح المواقف للجرجاني: ٢٧٩/٦-٢٨١, وكشاف اصطلاحات الفنون (مادة جوهر): ٢٠٥/١.
٥٥　المسائل في الخلاف: ص٥٨, وينظر التذكرة لابن متويه: ص١٨٢

الثاني من قطر الدائرة إلا دون الأول, فلو لم يكن له حظ من المساحة لما ثبت ذلك))[٥٦].

ويقول الجويني: ((الجوهر الفرد له حظ ثابت في المساحة غير موقوف على انضمام غيره إليه))[٥٧].

وأنكر أبو القاسم الكعبي, وأبو علي الجبائي وغيرهما من المعتزلة أن تكون للجوهر الفرد مساحة, ورأى أن المساحة التي للجسم ناتجة عن التأليف بين الجواهر[٥٨].

المطلب الخامس: تماثل الجواهر:

ذهب جمهور القائلين بالجوهر الفرد: وهم أكثر المعتزلة, والأشاعرة قاطبة, والماتريدية إلى أن الجواهر متماثلة, وأن اختلافها إنما هو في صفاتها وأعراضها[٥٩]. قال الآمدي: ((اتفقت الأشاعرة وأكثر المعتزلة على أن الجواهر متماثلة متجانسة))[٦٠].

يقول أبو رشيد النيسابوري- من معتزلة البصرة- ((ذهب شيوخنا إلى أن الجواهر كلها جنس واحد))[٦١]. ويقول عبدالقاهر البغدادي: ((إن الجواهر جنس واحد وإن اختلفت في الصور والهيئات لاختلاف ما فيها من أعراض))[٦٢]. وعلل القائلون الاختلاف بين الجواهر, لاختلاف الأعراض القائمة بها, وليس عائداً إلى اختلاف الجواهر في أنفسها[٦٣].

المطلب السادس: الأعراض:

أولاً- العرض في اللغة:

العرض في اللغة: القليل البقاء, وهو اسم لما لا دوام له, ولا يطول مكثه. ولهذا سُمي السحابُ عارضاً، لأنه لا يثبت

٥٦ التذكرة في الجواهر والأعراض: ص١٨٢, وينظر: المسائل في الخلاف: ص٥٩.
٥٧ الشامل في أصول الدين: ص١٥٩.
٥٨ ينظر: المسائل في الخلاف: ص٥٨. والتذكرة لابن متويه: ص١٨١-١٨٢.
٥٩ ينظر: مقالات الإسلاميين: ص٣٠٨, وأبكار الأفكار للآمدي: ٣/٣٦, وشرح المواقف, للجرجاني: ٧/٤.
٦٠ أبكار الأفكار: ٣/٣٦.
٦١ المسائل في الخلاف: ص٢٩. وينظر المحيط بالتكليف: ١/١٩٨-١٩٩, والتذكرة في الجواهر والأعراض: ص١٣٧.
٦٢ أصول الدين: ص٣٥.
٦٣ ينظر: أبكار الأفكار: ٣/٣٦. وينظر: المسائل في الخلاف: ص٢٩-٣٧, والتذكرة في الجواهر والأعراض: ص١٣٧-١٤٥.

ومنه قوله تعالى: قَالُوا هَـٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا [الأحقاف:٢٤], ويقال: "عرض لفلان أمرٌ" وأرادوا به حدوث شيء لا دوام له(٦٤)

ثانياً- العرض في الاصطلاح:

يعرف الجرجاني العرض بأنه ((الموجود الذي يحتاج في وجوده إلى موضع أي محل يقوم به كاللون المحتاج في وجوده إلى جسم يحله ويقوم به))(٦٥).

ويعرف ابن حزم العرض بأنه: ((محمولٌ لا يقوم بنفسه؛ لكنه يحمِلُه غَيْرُه.., و[الأعراض] هي الصفات الجسدية والنفسية, فالجسدية: كاللون والطعم, والمجسة والرائحة, والحركة والسكون ونحو ذلك. والنفسية: كالشجاعة والجبن, والعلم والجهل, والجود والشح, والعدل والجور, وما أشبه ذلك. فهذه كلها لا توجد في غير حامل لها ألبتة, وكل هذا, فمنه سريع الزوال كالحركة التي لا تثبت وقتين ألبتة, ومنه ما هو أبطأ زوالاً, كحمرة الخجل, وصفرة الفزع.., ومنه ماهو أبطأ زوالاً كالصِّبَى, وسواد الشعر, ونضرة اللون, وما أشبه ذلك. ومنه ما هو بطيء الزوال جدا فلا يزول إلا بفساد حامله))(٦٦).

فالعرض إذاً هو الذي يحتاج في وجوده إلى ذات, أي: موضع, أو محل يقوم به, فوجوده- على هذا- تابع للذات القائم بها, لا يتحقق دونها, ولا ينفصل عنها.

وتنقسم الأعراض من حيث استقرارها إلى قسمين: قار الذات، وهو الذي يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالبياض والسواد، وغير قار الذات، وهو الذي لا يجتمع أجزاؤه في الوجود، كالحركة والسكون(٦٧). كما تنقسم من حيث إدراكها إلى قسمين: أعراض مدركة: مثل الحركة والسكون, والاجتماع والافتراق. وأعراض غير مدركة: مثل

---

٦٤ ينظر: مفردات ألفاظ القرآن, للراغب: ص٥٥٩, شرح الأصول الخمسة: ص٢٣٠, والتمهيد لقواعد التوحيد: ص٤٥,٤٨.

٦٥ التعريفات (مادة عرض): ص١٥٣, وينظر: مقالات الإسلاميين: ص٣٦٩-٣٧٠, وينظر :التمهيد: ص٣٨, الحدود في الأصول لابن فورك: ص٨٨, ولمع الأدلة: ص٨٧, والشامل: ص١٤٢-١٤٣, والتمهيد لقواعد التوحيد: ص٤٥, والعقائد النسفية: ص٢٠.

٦٦ الدرة فيما يجب اعتقاده, لابن حزم: ص٤٠٢.

٦٧ ينظر: التعريفات للجرجاني (مادة عرض): ص١٥٣. والعقيدة البرهانية والفصول الإيمانية, لأبي عمرو عثمان السلالجي: ص٦٨-٦٩.

الإحساس باللذة والألم, والحالي والحامض[٦٨] . ويقسم بعضهم العرض من حيث اللزوم والمفارقة إلى قسمين: العرض اللازم, كالإنبات بالقوة بالنسبة لبذور النبات, وما هو مفارق لا يمتنع انفكاكه, كحمرة الخجل[٦٩] . وقد عمم المتكلمون مفهوم الأعراض ليشمل الكثير من الأحوال المعنوية كالقدرة والإرادة والحياة والعجز والموت[٧٠] .

وتقسيم المتكلمين للأعراض فيه نظر: فالروح التي يزعمون أنها عرض تقوم بنفسها: الله يقبضها عن العبد وهو نائم, فإن شاء لم يردها فمات, وإن شاء أعادها إليه فاستيقظ من نومه, كذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر, لها قناديل معلقة بالعرش, تسرح من الجنة حيث شاءت))[٧١] . كذلك الموت ليس بعرض؛ إذ يلزم من قول المتكلمين في أن الأعراض لا تقوم بنفسها إنكار ذبح الموت على الصراط, كما دل عليه حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ((يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون فيقول هل تعرفون هذا ؟ فيقولون نعم، هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح ثم يقول يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ: وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ [مريم:٣٩]))[٧٢] . وأيضاً حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت حتى يجعل بين الجنة والنار ثم يذبح ثم ينادي مناد يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحا إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزنا إلى حزنهم))[٧٣] .

قال الكفوي: ((ومذهب أهل السنة والجماعة أن الروح والعقل من الأعيان, وليسا بعرضين كما ظنته المعتزلة وغيرهم))[٧٤] .

---

٦٨ ينظر: الإنصاف للباقلاني ١٧, والشامل ٧٩, الإرشاد: ١٨, ١٩, ولمع الأدلة: ٧٨, للجويني. الإحالات من منى ١٨٩. وينظر مقاصد الفلاسفة: ص٨٧-٨٥. سج

٦٩ عون المريد لشرح جوهرة التوحيد: ٢٣٣/١ .

٧٠ ينظر :لمع الأدلة: ص٨٧. والشامل: ص١٤٢-١٤٣.

٧١ أخرجه مسلم: كتاب الإمارة, رقم(١٨٨٧) ١٥٠٢/٣.

٧٢ أخرجه البخاري في كتاب التفسير, رقم(٤٧٣٠), ومسلم: كتاب الجنة, رقم(٢٨٤٩) ٢١٨٨/٤.

٧٣ أخرجه البخاري في كتاب الرقاق, رقم(٦٥٤٨), ومسلم: كتاب الجنة, رقم(٢٨٥٠) ٢١٨٩/٤.

٧٤ الكليات: ص٤٦٩, مادة «روح».

المبحث الثاني: تاريخ القول بالجوهر الفرد:

المطلب الأول: القول بالجوهر الفرد عند غير المسلمين:

أولاً- في الديانات الهندية:

يذهب فلاسفة الجاينا[٧٥]، إلى أن المادة والزمان والمكان تنقسم إلى أجزاء لا تتجزأ, يطلقون على أجزاء المادة اسم (أنو) ويشغل كل منها حيز أونقطة من المكان تسمى (براديشا), وهذه الأجزاء لها كيفيات, فإما أن تكون لدنة (ملتصقة=سْنِجْدْها) أو يابسة (روكْشا). وفي ضوء درجة قوة هذه الكيفيات يحصل اجتماع هذه الأجزاء، أو افتراقها, وذلك طبقاً لقواعد معينة[٧٦].

كما أن أتباع فلسفة النايايا-إحدى فلسفات الخلاص في الهندوسية- يرون أن الأشياء المركبة هي نتاج تجميعات للذرات, وهذه المركبات قابلة للانقسام إلى أجزاء، حتى يصبح من المستحيل أن يغدو كل جزء قابل للفناء. وهذه الأجزاء أو الجواهر أزلية لا تنقسم, وهي محل وجود الأنواع الأخرى من الأشياء, وهذه الأنواع هي: التراب, والماء, والنور, والهواء, والأثير, والزمان, والمكان, والنفس, واللهن[٧٧].

أما في البوذية[٧٨]: فالجزء أو الجوهر عند بعض الفرق البوذية ينقسم إلى أجزاء, ما بين ثمانية إلى اثني عشر, هي في منتهى الصغر، يسمى كل جزء منها بـــ«دْهَرْما»، موجودة منذ الأزل, وستبقى إلى الأبد. ومعنى دهرما: هو أصغر جزء تتألف منه المظاهر المحسوسة للأشياء. وهم يعتبرون أن أربعة من الدهرمات هي العناصر الأربعة:

---

٧٥ من ديانات الهند المشهورة مع قلة أتباعها، ولفظ «جين» معناه: المتنصر أو الفاتح ويجمل عقائدهم تتمثل في إنكار خالق لهذا الكون، بل العالم عندهم قديم لا بداية له ولا نهاية، ويقولون بوحدة الوجود، والتناسخ، والإيمان بالفناء وسيلة لتصفية الروح، وهم يعظمون الأرواح وينسبونها للألوهية ويعظمون كذلك الأصنام، ويحرمون ذبح الحيوان، ويؤمنون بالأهمسا (مبدأ اللاعنف). ينظر: المعتقدات الدينية لدى الشعوب: ص٢٢١-٢٣٥.

٧٦ ينظر: مذهب الذرة, بينيس: ص١٠١. وينظر الفكر الفلسفي الهندي: ص٣٣٢-٣٣٥, وفكر الهند: ص٧١.

٧٧ ينظر: الفكر الشرقي القديم, جون كولر: ص١١٩-١٢١.

٧٨ البوذية نسبه إلى بوذا واسمه الحقيقي «غوتاما» (٥٦٠-٤٨٠ق.م) وهي في أصلها مذهب أخلاقي أكثر منه عقيدة مؤصلة، فالبوذية لا تنكر عبادة الآلهة الشائعة بين الناس، ويرى بوذا أن «السعادة والشقاء دائماً نتيجة سلوكنا نحن وشهواتنا نحن», كما لا يجعل الجنة والنار من صميم عقيدته وهو يرى أنه ليس في هذا الكون مبدأ ينم عن الدوام، ولا مركزٌ لحقيقة أبدية خالدة. مما يفهم منه أن بوذا كان ملحداً. وقد تحولت البوذية لاحقاً إلى عقيدة ذات طابع وثني يقوم على تأليه بوذا، والقول بالتناسخ. ينظر: الفكر الشرقي، د.يونج شوون كيم: ص٥٣-٥٦. والبوذية، هنري آرفون: ٤٧-٧٦.

التراب والماء والنار والهواء، فالتراب يدل على ما هو صلب, والماء على الليونة, والنار على الحرارة, والهواء على المتحرك والخفيف. وهذه الدهرمات الأربعة هي موضوعةً للدهرمات الأربعة الباقية، والتي تمثل الحواس الأربع: اللمس, والشم, والذوق, والبصر. وربما يضاف دهرام يكون موضوعاً لحاسة السمع. وهذه الدهرمات كلها تمثل الجوهر, لكنه لا ينقسم قسمة مكانية, بل يعتبر شيئاً واحداً لا أجزاء له(٧٩).

ثانياً- الجوهر الفرد عند اليونان:

لعل بدايات المذهب الذري اليوناني كان على يد الفيلسوف اليوناني ليوقيبوس (عاش في حدود سنة ٤٤٠ق.م), الذي صاغ المبادئ الأساسية للمذهب الذري، القائل بأن كل ما في العالم يتألف من ذرات Atoms صغيرة للغاية، ومن خلاء تتحرك فيه هذه الذرات. وهذه الذرات بسيطة لا تقبل التجزئة إلى ما لا نهاية، وهي بحكم امتناعها على التجزئة، لا تتحول إلى عدم(٨٠).

وبرز المذهب الذري اليوناني بقوة على يد ديمقريطس (٤٦٠-٣٦٠ق.م) الذي يرى أن الذرة عنصر مادي لا يقبل التجزؤ على الإطلاق, وصغيرة إلى حد أنها لا تقبل الإدراك منفصلة عن بعضها, وأنها عناصر أزلية خالدة, ثابتة, مؤتلفة فيما بينها, ولا تختلف إلا بأشكالها ومواضعها وحركاتها, وهي- بسبب اختلاف شكلها وتأليفها- علة لجميع كيفيات الأجسام(٨١).

كما يعتقد ديمقريطس أن الذرات هي أشياء مادية حقيقية, لا يمكن أن يؤثر فيها بسبب صلابتها, وهي غير متغيرة, بمعنى: أنه لا يمكن لأي قوة خارجية أن تغيّر في تركيب الذرة الداخلي, أو تغير جوهرها المادي أو شكلها أو حجمها, كما أنها متجانسة تماماً في الجوهر المادي, وإن اختلفت أشكالها وأحجامها, وهي دائمة الحركة, وهي حركة ضرورية لا بداية لها, ولما كانت الذرات أبدية, فحركتها أبدية. وأن ثقل الذرة علة داخلية لحركتها خلال الخلاء, وهي حركة متذبذبة وفي جميع الاتجاهات, فالذرات تتزاحم وتتصادم بعضها ببعضها الآخر من البداية. والثقل عند ديمقريطس خاصية مشتقة من الحجم يؤثر- لا في الذرات في حالة الخلاء- ولكن فقط في الدوران الكوني السريع، كقدرة على مقاومة هذا الدوران ذاته, وسط درجات أكبر وأصغر. في حين أن الخلاء لاشيء,

---

٧٩ ينظر: والفكر الشرقي القديم, جون كولر: ص٢٢٨-٢٣٣, ٢٤١-٢٥٧, ومذهب الذرة, بينيس: ص١٠٢-١٠٣.

٨٠ ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية, برتراند رسل: ١/١١٤-١٢٧.

٨١ ينظر: مذهب الذرة, بينيس: ص٩٤, وموسوعة لالاند الفلسفية, مادة «Atome": ١/١٠٨, وتاريخ الفلسفة الغربية, برتراند رسل: ١/١١٤-١٢٧.

وأن وجود الخلاء يأتي من اللاوجود المطلق, كما أن المكان عند ديمقريطس أحياناً يكون هو الفراغ الذي لا يوجد فيه جسم, وأحياناً هو الموضع الذي توجد فيه الذرات[٨٢].

وهكذا يفضي المذهب الذري إلى الاعتراف بالسببية الشاملة في العالم, ويعمم ديمقريطس آراءه الذرية لتشمل الحياة والروح أيضا: فهو يرجع ظهور الكائنات الحية إلى الظروف والشروط الطبيعية، دونما أية غاية، أو علة خارجية مفارقة, والنفس أيضاً مكونة من أدق الجواهر وأسرعها حركة, وهذه الجواهر منتشرة في الهواء, لذلك تتجدد النفس عن طريق التنفس الذي يمسك وجود الحي، والذي إذا ما انقطع يحدث الموت، أي :انفصال الذرات المكونة للكائن الحي. كما فقدت الآلهة صفاتها الخارقة، فهي كالبشر، إلا أنها تتكون من ذرات نارية، ولا دخل لها في عالمنا ولا تؤثر فيه، كما أنها ليست مخلدة ولا تصنع المعجزات[٨٣].

والنظرية الذرية عند ديمقريطس لا تناقض قوله بوحدة وجود مادية, وذلك ((أنه لاشيء يمكن أن يضاف إلى العالم, ولا شيء يمكن أن يخرج منه, وأن المكوِّن النهائي للمادة لا يأتي إلى الوجود ولا يخرج منه))[٨٤]. كما أن العالم عنده لم يخلق بأية وسيلة, بل هي حتمية الطبيعة, كما أنه ليس له بداية, وهو غير متناه, وهو وجود طبيعي كلي, وفعله آلي محض, ومحكوم بقانونه الخاص[٨٥].

ثالثاً- الجوهر الفرد في الفلسفة الغربية الحديثة:

تمسك الفلاسفة الطبيعيون في بداية عصر النهضة الأوربي بفكرة الذرة، وأكدوا عليها. وذهبوا إلى أن التغيرات الفيزيائية والكيميائية الواقعة للعناصر والمواد إنما هو نتيجة للتفاعلات التي تتم بين ذراتها. فقد ذهب بيكون مثلاً إلى أن ذبذبات الجزئيات الدقيقة للمادة التي تحدث نتيجة لحركتها، هي السبب في ظاهرة الحرارة. أما نيوتن فقد افترض أن الضوء يتكون من جسيمات ذرية دقيقة وليس من موجات[٨٦].

ولعل أول من قال بالجوهر الفرد في بدايات الفلسفة الأوربية الحديثة هو ليبنتز (١٦٤٦-١٧١٦م) فالجوهر عند

٨٢ ينظر: تاريخ الفلسفة, اميل برهييه: ١/١٠١-١٠٥, وتاريخ الفلسفة الغربية, برتراند رسل: ١/١١٤-١٢٧, والفلسفة العامة ومشكلاتها, أ.دعلي عبدالمعطي محمد: ص١٧, ٢٧, ٣١, ٣٤-٣٦. والفكر اليوناني قبل أفلاطون, د. حسين حرب: ص٧٠.

٨٣ ينظر: تاريخ الفلسفة الغربية, برتراند رسل: ١/١١٤-١٢٧. والفكر اليوناني قبل أفلاطون, د. حسين حرب: ص٧١.

٨٤ الفلسفة العامة ومشكلاتها, أ.دعلي عبدالمعطي محمد: ص١٩.

٨٥ ينظر: الفلسفة العامة ومشكلاتها, أ.دعلي عبدالمعطي محمد: ص١٩, ٢١. والفكر اليوناني قبل أفلاطون, د. حسين حرب: ص٧٠.

٨٦ () ينظر: قصة العلم, ج.ج. كراوثر: ص٢٩٦.

ليبنتز- ويطلق عليه مصطلح المونادِ, والذي أساسه الكلمة الإغريقية «المونِاس», وتعني الوحدة أو ما هو واحد- شيء مادي لطيف, بلا أجزاء, يدخل في المركبات, وهو عنصر الأشياء. والجوهر عند ليبنتز يأتي إلى الوجود دفعة واحدة, ويتوقف عن الوجود دفعة واحدة. كما أنه لا يوجد جوهران متشابهان, والجوهر البسيط يتغير تبعاً لتغير الإدراكات التي تقع له, وهذا التغيير يكون داخلياً, كما أن أي تغيير يقع في الكون يكون عن طريق القوة الكامنة في هذا الجوهر[٨٧].

يقول ليبنتز: ((الجوهر كائن قادر على الفعل وهو البسيط أو المركب, فالجوهر البسيط هو الذي لا أجزاء له. والجوهر المركب هو المجموع المؤلف من جواهر بسيطة, أو مونادات. ومونِاس كلمة يونانية تدل على الوحدة أو على ما هو واحد.. ولابد أن تكون هناك جواهر بسيطة في كل مكان, إذ لولا البسيطة ما وجدت المركبة, يترتب على هذا أن تكون الطبيعة كلها ممتلئة بالحياة))[٨٨]. ويقول أيضاً: ((ليست المونادة سوى جوهر بسيط.. والبسيط معناه: ما لا أجزاء له.. وحيث لا تكون أجزاء, لا يمكن أن يكون ثمة امتداد ولا شكل ولا انقسام. وهذه المونادات هي الذرات الحقة التي تتكون منها الطبيعة. وهي على الجملة عناصر الأشياء. كذلك ليس هناك ما يدعو للخوف من تحللها, ولا سبيل على الإطلاق لتصور فساد الجوهر البسيط فساداً طبيعيا.. وهكذا يمكن القول بأن المونادات لا تنشأ أو تفسد إلا بضربة واحدة, أي أنها لا تنشأ إلا بالخلق ولا تفسد إلا بالإفناء))[٨٩].

المطلب الثاني: القول بالجوهر الفرد في تاريخ المسلمين:

إن أول من قال بالجوهر الفرد من المتكلمين هو أبو الهذيل العلاف, الذي كان يقول:إن ((للأشياء المحدثات كلاً وجميعاً وغاية يُنْتَهَى إليه في العلم بها, والقدرة عليها, وذلك لمخالفة القديم للمحدث, فلما كان القديم عنده ليس بذي غاية ولا نهاية, ولا يجري عليه بعض ولا كل؛ وجب أن يكون المحدث ذا غاية ونهاية, وأن له كلاً وجميعاً. قال: ووجدت المحدثات ذات أبعاض, وما كان كذلك فواجب أن يكون له كل وجميع, ولو جاز أن تكون أبعاض, لا كل لها جاز أن يكون كل وجميع ليس بذي أبعاض, فلما كان هذا محالا, كان الأول مثله. ومن أدلته على ذلك قول الله عز وجل: إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:٢٠],وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ [البقرة:٢٩]

---

٨٧ ينظر: تاريخ الفلسفة, إميل برهييه: ٢٩٢/٤-٣٠٥, وموسوعة لالاند الفلسفية, مادة «Monade»: ٨٢٨/٢, ومادة «Monisme»: ٨٣١/٢, والفلسفة العامة ومشكلاتها, أ.د.علي عبدالمعطي محمد: ص١٤٣-١٤٧.

٨٨ المبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي, ليبنتز: ص١٠١. وينظر: مقالة في الميتافيزيقا, للمؤلف نفسه: ص١١٠-١٢٩.

٨٩ المونادولوجيا, ليبنتز: ص١٢٥-١٢٦. وينظر: مقالة في الميتافيزيقا, للمؤلف نفسه: ص١١٠-١٢٩.

أَلَا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ [فصلت:٥٤] وبقوله: وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا [الجن:٢٨], قال: فقد ثبت بقوله عز وجل إن للأشياء كلاً وثبّت نفسه عالماً به محيطاً له, والإحصاء والإحاطة لا تكون إلا لمتناه ذي غاية))[٩٠].

وقول العلاف أن المحدث له ((كل وجميع وغاية)) أي أنه: ((محدود الذرع والمساحة, وكل شيء نستطيع أن نحدد له كُلا، لابد أن يكون ذا أبعاض, إذن المحدثات لها أجزاء, ولما كنا قد سلمنا بأن كل محدث محدود المساحة, أي له نهاية؛ فلابد أن تكون الأجزاء التي يتألف منها ذوات نهاية أيضاً, أي أنها أجزاء لا تتجزأ))[٩١].

وتبع أبا الهذيل في قوله بالجوهر الفرد معمر بن عباد, وهشام الفوطي, وكانا معاصرين له, وقد أخذ أبو الهذيل مذهبه عن الفلسفة اليونانية, وقيل من الهنود, وإن كان الأول أقرب؛ لأن كتب اليونان كانت قد ترجمت, وانتشرت في العراق؛ في حين أن كتب الهنود لم تكن معروفة في ذلك الوقت[٩٢].

ومن أوائل القائلين بالجزء الذي لا يتجزأ: أبو زكريا الرازي الطبيب الفيلسوف: الذي أثبت خمسة قدماء هي: الهيولى (المادة), والزمان, والمكان, والنفس, والباري سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً. وهذه الهيولى- التي هي مادة الأجسام جميعها قبل أن تتصور بصورة الأجسام والعناصر, وهي ما يسميها: «الهيولى المطلقة"- ليست في حقيقتها سوى أجزاء لا تتجزأ, والأجسام تتألف من تلك الأجزاء التي لا تتجزأ, وسينتهي تفرق تركيب أجسام العالم في آخر أمر العالم إلى تلك الأجزاء بعينها[٩٣].

أما عند الأشاعرة: فلعل أول من اشتهر عنه القول بالجوهر الفرد هو أبو بكر الباقلاني[٩٤], ثم تبعه جمهور الأشاعرة والماتريدية, فأصبح الاعتقاد بالجوهر الفرد, أو الجزء الذي لا يتجزأ من العقائد الأساسية عند جمهور هاتين الفرقتين.

على أن قلة من المتكلمين أنكروا القول بالجزء الذي لا يتجزأ, أو الجوهر الفرد. فذهب النظام من المعتزلة إلى أنه ((لا جزء إلا وله جزء. ولا بعض إلا وله بعض. ولا نصف إلا وله نصف وأن الجزء جائز تجزئته أبداً ولا غاية

٩٠ الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد, للخياط: ص٩-١٠.
٩١ محاضرات في الفلسفة الإسلامية, د. يحيى هويدي: ص١٣٦-١٣٧.
٩٢ ينظر: مذاهب الإسلاميين, د.عبدالرحمن بدوي: ١/١٨٢-١٨٤.
٩٣ ينظر: رسائل فلسفية, لأبي بكر الرازي: ص٢٢٠-٢٢١.
٩٤ ينظر: التمهيد للباقلاني: ص٣٧, والإنصاف له أيضاً: ص٢٧.

له من باب التجزؤ))[٩٥].

كما أنكر الفلاسفة الجزء الذي لا يتجزأ, وقالوا: ((إن الجزء يتجزأ ولتجزئته غاية في الفعل فأما في القوة والإمكان فليس لتجزئته غاية))[٩٦].

كما ذهب ابن حزم إلى إنكار الجوهر الفرد, فقال: ((وكل جوهر فإنه محتملٌ للانقسام أبداً, في قدرة الله تعالى على تجزئته بلا نهاية, ولو وقف ذلك في جزء محدود لا يمكن للباري تعالى أن يقسمه لدقته, لكان تعالى منقوصاً متناهي القدرة عاجزاً, تعالى الله عن ذلك, وهذا كفر ممن أجازه))[٩٧]. وقول ابن حزم هنا تبعاً لمذهبه في صفة القدرة وأنها تتعلق بالمستحيل, وهذا خلاف مذهب السلف وهو أن القدرة تتعلق بالممكن والجائز[٩٨]. والشاهد من كلام ابن حزم هو إنكاره لمذهب الجوهر الفرد, ومن هذا الباب تم ذكره.

وممن أنكر الجوهر الفرد أو الجزء الذي لا يتجزأ: شيخ الإسلام ابن تيمية, حيث قال: ((ودعوى من ادعى: أن الأجسام مركبة من جواهر لا تنقسم, قائمة بأنفسها ليس لها شيء من هذه الأعراض, ولكن لما تركبت صارت متصفة بهذه الصفات, كاتصاف النار بالحرارة, والماء بالرطوبة: دعوى باطلة بالعقل والحس, فإن الجسم المعين كهذه النار, لم تكن أجزاؤه قط عارية عن كونها ناراً, بل النار لازمة لها))[٩٩].

المبحث الثالث: الأخطار العقدية المترتبة على الاعتقاد بالجوهر الفرد:

نتج عن القول بالجوهر الفرد لوازم خطيرة وفاسدة، منها:

أولاً- إنكار الخلق من عدم:

الذي يظهر من نظرية الجوهر الفرد أن الخلق يكون على درجتين: الأولى: أن الله خلق الجواهر أو الأجزاء التي لا تتجزأ منفردة أولاً, ثم ألف تعالى بين هذه الأجزاء التي لا تتجزأ ثانياً؛ فتكونت الأجسام وبالتالي الخلق كله

٩٥ مقالات الإسلاميين: ص٣١٨.
٩٦ مقالات الإسلاميين: ص٣١٨. وينظر: النجاة, لابن سينا: ص١٣٩.
٩٧ الدرة فيما يجب اعتقاده, لابن حزم: ص٤٠٣-٤٠٤.
٩٨ ينظر: مجموع فتاوى ابن تيمية: ٨/٨-١٣, ٣٨٣.
٩٩ درء تعارض العقل والنقل: ٥/١٩٣-١٩٥.

(١٠٠). خصوصاً وإن فريقاً من المتكلمين يرى أن إفناء الله للجواهر لا يكون بإعدامها بل يفرقها ثم يؤلفها مرة أخرى كما كانت(١٠١).

والذي يؤيد هذا القول: ما ذهب إليه الجويني في الشامل في معرض رده على الدهرية, حيث قال: ((ومما تمسك به الأئمة في الرد عليهم، أن قالوا: إذا زعمتم أن الجواهر في الأزل لم تكن مجتمعة ولا متفرقة, ثم اجتمع منها ما اجتمع, وافترق ما افترق, فالذي اجتمع منها لا يخلو: إما أن يجتمع عن افتراق, أو يجتمع من غير افتراق, فإن اجتمعت عن افتراق, فقد وضح قيام الافتراق بها من قبل, وإن اجتمعت و لم تكن متفرقة قبل, فهذا معلوم بطلانه ضرورة, فإن كل شيئين موجودين يحدث فيهما وصف الاجتماع, و لم يكن متحققاً, فلابد أن يحدث الانضمام عن تباعد, وأن يحدث تلاصق عن تباين))(١٠٢). وقال أيضاً: ((إن المتحيزين إذا كانا موجودين في حالة غير متفرقين فيها, ثم افترقا في الحالة الثانية؛ فلابد أن يكونا مجتمعين قبلها ليتفرقا, وليس كذلك الافتراق؛ فإنه لا يبعد في موجب العقل أن يبدع الله الجواهر, ويخلق فيها افتراقاً لتكون مبددة في أول الفطرة))(١٠٣).

وكذلك ما قاله الرازي في تفسيره, إذ يقول: ((إنه تعالى خلق السماء من أجزاء مظلمة... ثم لما ركبها وجعلها سماوات وكواكب وشمساً وقمراً، وأحدث صفة الضوء فيها, فحينئذ صارت مستنيرة، فثبت أن تلك الأجزاء- حين قصد الله تعالى أن يخلق منها السموات والشمس والقمر- كانت مظلمة، فصح تسميتها بالدخان؛ لأنه لا معنى للدخان إلا أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور))(١٠٤).

ولاشك في أن هذه النصوص عن الجويني والرازي هي من لوازم قولهما بالجوهر الفرد وإن لم يلتزماها, وهي تشعر من يقف عليها أن الله لم يخلق الخلق من عدم, بل خلقهم من الجواهر الفردة التي مادمًا موجودة أصلاً, فقام الله تعالى بجمعها؛ فنشأت المخلوقات.

كذلك فإن المعتزلة ترى أن ذوات الأشياء هي ذوات في العدم, وأن الجواهر والأعراض كانت في العدم

١٠٠ ينظر: الفصل في الملل والنحل, لابن حزم: ٥/٢٢٥, ومذهب الذرة عند المسلمين, بينيس: ص١٣, وإبراهيم بن سيار النظام وآراؤه الكلامية الفلسفية, د.محمد عبدالهادي أبوريدة: ص١١٩، ونظريات نشأة الكون في الفكر الإسلامي, د.إبراهيم تركي: ص١٥١-١٥٤.

١٠١ ينظر: أصول الدين, للبغدادي: ٢٣٣-٢٣٤, والاقتصاد في الاعتقاد للغزالي: ص٢٧٣, والأربعون في أصول الدين, للرازي: ٢/٢٧٨, وأبكار الأفكار, للآمدي: ٣/٣٦٤-٣٧٦, وشرح المواقف للايجي: ٨/٢٩٤-٢٩٦.

١٠٢ الشامل, للجويني: ص٢٠٦-٢٠٧.

١٠٣ الشامل, للجويني: ص٢٠٧.

١٠٤ تفسير الرازي: ٢٧/١٠٤.

جواهر وأعراضا, وأن الموجودات بقاؤها بنفسها لا بالله تعالى, وأن كل موجود إنما يحتاج إلى الله تعالى في حال الوجود فقط, وإذا وجد فقد استغنى عنه, ولا حاجة إليه, فدور الله تعالى يتمثل في إخراج هذه الجواهر من حيز العدم- الذي هو شيء عندهم- إلى حيز الوجود[١٠٥]. يقول العجالي المعتزلي: ((وقد اتفقوا- أي المعتزلة- في أن العدم أجناساً وأنواعاً مختلفة في الصفات, وتكون من كل جنس أعداداً غير متناهية يمكن الإشارة العقلية إلى كل واحد منها, وأن هذا يماثل هذا, وهذا يخالف هذا.. والجوهر كما أنه جوهر في الوجود فكذلك هو جوهر في العدم. وكذا السواد والبياض والحرارة والبرودة))[١٠٦]. ونفي الوجود عن المعدوم من حيث تعلق الأحكام به, لا من حيث له وجود في العدم[١٠٧].

قال شيخ الإسلام: ((وهؤلاء تحيروا في خلق الشيء من مادة؛ كخلق الإنسان من النطفة, والحب من الحب, والشجرة من النواة, وظنوا أن هذا لا يكون إلا مع بقاء أصل تلك المادة, إما الجواهر عند قوم, وإما المادة المشتركة عند قوم. وهم في الحقيقة ينكرون أن يخلق الله شيئاً من شيء, فإنه عندهم لا يحدث إلا الصورة التي هي عرض عند قوم, أو جوهر عقلي عند قوم, وكلاهما لم يخلق من مادة, والمادة عندهم باقية بعينها, لم يخلق, ولن يخلق منها شيء))[١٠٨]. وقال: ((والمقصود أن القائلين بالجوهر الفرد يقولون إنما أحدث أعراضاً كجمع الجواهر وتفريقها, فالمادة التي هي الجواهر المنفردة باقية عندهم بأعيانها؛ ولكن أحدث صوراً هي أعراض قائمة بهذه الجواهر))[١٠٩]. وقال: ((وهؤلاء الذين أثبتوا "الجوهر الفرد" زعموا أنا لا نعلم لا بالحس ولا بالضرورة, أن الله أبدع شيئاً قائما بنفسه, وأن جميع ما نشهده مخلوق: من السحاب, والمطر, والحيوان, والنبات, والمعدن, وبني آدم, وغير بني آدم, فإن ما فيه أنه أحدث أكواناً في الجواهر المنفردة, كالجمع والتفريق, والحركة والسكون, وأنكر هؤلاء أن يكون الله لما خلقنا أحدث أبداننا قائمة بأنفسها, أو شجراً وثمراً أو شيئاً آخر قائماً بنفسه, وإنما أحدث عندهم أعراضاً, وأما الجواهر المنفردة فلم تزل موجودة))[١١٠].

---

١٠٥ ينظر: التذكرة لابن متويه: ص١٥٢, ٧١-٧٣, ٧٦-٧٧, والاعتقادات للراغب: ص١٩٦.

١٠٦ الكامل في الاستقصاء, للعجالي: ص١٧٢. وينظر: المسائل في الخلاف, لأبي رشيد النيسابوري: ص٣٧-٤٧. والمغني في أبواب التوحيد والعدل, للقاضي عبدالجبار: ٢٥٢/٥. وتلبس إبليس لابن الجوزي: ص١٠٣.

١٠٧ ينظر: المغني في أبواب التوحيد والعدل, للقاضي عبدالجبار: ٧٠/١/٦-٧١.

١٠٨ النبوات, لابن تيمية: ٣١٢/١. وينظر الكتاب نفسه: ٣١٤/١-٣٢٧. ومنهاج السنة للمؤلف: ١٣٨/٢-١٤١.

١٠٩ النبوات, لابن تيمية: ٣٠٨/١.

١١٠ مجموع الفتاوى, لابن تيمية: ٤٢٤/٥. وينظر: النبوات, لابن تيمية: ١٠٩٦/٢-١٠٩٨.

وقد نعت بعض الباحثين مذهب الذرة بأنه مذهب يؤدي إلى الإلحاد[111] , وهي نتيجة حتمية لإنكار الخلق من عدم، إذا التزم القول بها قائلها.

ثانياً- إنكار المعاد الجسماني:

قال المتكلمون بالجوهر الفرد، للرد على من أنكر المعاد الجسماني بزعمهم, وقالوا: لا يتأتى التصديق بالمعاد الجسماني إلا بإثبات الجواهر الفردة, وذلك أن إثبات الجوهر الفرد- بزعم المتكلمين- فيه إثبات لقدرة الله الشاملة على كل الأجزاء، وعلمه تعالى بها, وأنه تعالى- كما قدر على تفريقها- قادر على جمعها يوم القيامة على ما كانت عليه في الدنيا, فهو سبحانه المطلع على أمكنة هذه الأجزاء مهما تباعدت, ((فالله تعالى يعدم أجزاء العالم كلها حتى تصير علماً محضاً, ثم يعيد المعدوم ويقلبه وجوداً, حتى أنه يعيد زمنه بعينه وينشئه لا من مادة كما قالوا في المبدأ))[112] .

ومن لوازم القول بالجوهر الفرد أن ذهب بعض القائلين بالجوهر الفرد إلى أن الجواهر لا تفنى بل هي باقية, ولكنها تتفرق بعد أن كانت مجتمعة, ثم يجمعها الله يوم القيامة, في حين توقف آخرون في المسألة, يقول الغزالي: ((فإن قيل: فماذا تقولون: أتعدم الجواهر والأعراض ثم يعادان جميعاً, أو تعدم الأعراض دون الجواهر, وإنما تعاد الأعراض؟ قلنا: كل ذلك ممكن))[113] . كذلك توقف في المسألة الإيجي, حيث يقول: ((هل يعدم الله الأجزاء البدنية ثم يعيدها, أو يفرقها ويعيد فيها التأليف؟ الحق أنه لم يثبت ذلك, ولا جزم فيه نفياً ولا إثباتاً؛ لعدم الدليل))[114], وتوقف فيها الآمدي والتفتازاني أيضاً[115]. وقال الرازي: ((اعلم أن المعاد الجسماني أنكره أكثر الفلاسفة. وجملة أهل الإسلام متفقون على إثباته... وهم فريقان: منهم من يقول: إنه تعالى يعدم الذوات ثم يعيدها. ومنهم من يقول: إنه تعالى يفرق الأجزاء, ثم يركبها مرة أخرى))[116] .فالله تعالى- عند الطائفة الثانية- ((يفرق الأجزاء ويزيل التأليف عنها, ولكنه تعالى لا يعدمها. فإذا أعاد التأليف إليها, وخلق الحياة فيها مرة أخرى, كان هذا الشخص هو عين ذلك الشخص الذي كان موجوداً قبل ذلك))[117] .

---

١١١ ينظر :مبدأ التطور الحيوي لدى فلاسفة الإسلام, محفوظ علي عزام: ص٥١ .
١١٢ الصواعق المرسلة: ٣/٩٨٧-٩٨٨.
١١٣ الاقتصاد في الاعتقاد, للغزالي: ص٢٧٣ . وينظر:+أصول الدين للرازي: ٢/٢٧٩-٢٨٠ .
١١٤ المواقف في علم الكلام, للإيجي: ص٣٧٥.
١١٥ ينظر غاية المرام في علم الكلام, للآمدي: ص٣٠١ , وشرح المقاصد, للتفتازاني: ٥/١٠٠-١٠١.
١١٦ الأربعين في أصول الدين للرازي: ٢/٢٨١-٢٨٢ . وينظر شرح المواقف, للجرجاني: ٨/٢٨٩ .
١١٧ الأربعين في أصول الدين للرازي: ٢/٢٧٩ . وينظر أبكار الأفكار للآمدي: ٣/٣٧٦ .

وعند المعتزلة القائلين بشيئية المعدوم, يكون فناء الجوهر رجوعه إلى ما كان عليه قبل وجوده, وهو العدم, وهي عندهم مرتبة سابقة للوجود, يقول القاضي عبدالجبار: ((حقيقة الفناء: هو العدم))(١١٨) , و((المعدوم هو المعلوم الذي ليس له صفة الوجود))(١١٩) . ويقرر القاضي عبدالجبار أن الفناء هو العدم, فيقول: (قوله تعالى: كل شئ هالك إلا وجهه) [القصص:٨٨], فلا يخلو من أن يراد بالهلاك الفناء على ما نقول, أو المراد به الموت والتغيير بالذُبول وغيره. وقد علمنا أن حمله على خلاف الفناء يقتضي التخصيص؛ لأن الموت والذبول لا يصحان إلا لبعض الأشياء دون بعض))(١٢٠) .

ويقول ابن متويه: ((اعلم أن الجواهر تصح إعادتها بعد إفنائها, وليس في ذلك خلاف بين شيوخنا... وصح أنه باق, وأنه لا ينتهي في الوجود إلى حد لا يجوز وجوده من بعد... فإذا عدمت الجواهر فقد عادت إلى ما كانت عليه في الأول)), ثم يؤكد أن الجوهر ((باق غير متولد عن سبب ولا يدخل تحت القدرة))(١٢١) .

وما ذكره المتكلمون في المعاد- وإن لم يلتزموه- قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان, قال ابن تيمية: ((والمقصود هنا أن هؤلاء لما كان هذا أصلهم في ابتداء الخلق, و هو القول بإثبات الجوهر الفرد, كان أصلهم في المعاد مبنياً عليه, فصاروا على قولين: منهم من يقول تعدم الجواهر ثم تعاد, و منهم من قال تتفرق الأجزاء ثم تجتمع, فأورد عليهم الإنسان الذي يأكله حيوان, وذلك الحيوان أكله إنسان آخر, فإن أعيدت تلك الأجزاء من هذا, لم تعد من هذا. و أورد عليهم أن الإنسان يتحلل دائما, فما الذي يعاد أهو الذي كان وقت الموت؟ فإن قيل بذلك؛ لزم أن يعاد على صورة ضعيفة, و هو خلاف ما جاءت به النصوص, وإن كان غير ذلك فليس بعض الأبدان بأولى من بعض. فادعى بعضهم أن في الإنسان أجزاء أصلية لا تتحلل, و لا يكون فيها شيء من ذلك الحيوان الذي أكله الثاني. والعقلاء يعلمون أن بدن الإنسان نفسه كله يتحلل، ليس فيه شيء باق. فصار ما ذكروه في المعاد مما قوى شبهة المتفلسفة في إنكار معاد الأبدان, وأوجب أن صار طائفة من النظار إلى أن الله يخلق بدنا آخر تعود الروح إليه))(١٢٢) .

قال ابن تيمية- رحمه الله- في معرض حديثه عن المتكلمين: ((وهم لا يشهدون للرحمن إحداثا ولا إفناء, بل إنما يحدث عندهم الأعراض, وهي تفنى بأنفسها لا بإفنائه, وهي تفنى عقب إحداثها, وهذا لا يعقل! وهم حائرون:

١١٨ المغني في أبواب العدل والتوحيد, للقاضي عبدالجبار: ٤٣٩/١١ .

١١٩ المحيط بالتكليف, للقاضي عبدالجبار: ٣٥٦/١.

١٢٠ المغني في أبواب العدل والتوحيد: ٤٤٠/١١ . وينظر المحيط بالتكليف: ٩٢/١ . والتذكرة لابن متويه: ص٢٠٨ .

١٢١ التذكرة لابن متويه: ص٢٣٧ .

١٢٢ مجموع الفتاوى, لابن تيمية: ٢٤٦/١٧-٢٤٧ . وينظر :النبوات, لابن تيمية: ٣١٦/١-٣١٧ .

إذا أراد أن يعدم الأجسام كيف يعدمها؟ والمشهور عندهم أنها تعدم بأنفسها إذا لم يخلق لها أعراضاً, فالعرض يفنى عندهم بنفسه, والجوهر يفنى بنفسه, إذا لم يخلق له عرض... فحقيقة أصل أهل الكلام المتبعين للجهمية: أنه لا يحدث شيئاً, ولا يفنى شيئاً, بل يحدث كل شيء بنفسه, ويفنى بنفسه))(١٢٣).

ثالثاً- إنكار استحالة الأجسام:

وتبعاً لما سبق ذكره عن بعض المتكلمين في المعاد الجسماني من أن الله تعالى يفرق الأجزاء, ثم يركبها مرة أخرى؛ فقد ذهب عامة المتكلمين إلى إنكار استحالة جسم إلى جسم آخر، فالجواهر التي كانت في الجسم الأول، هي بعينها باقية في الجسم الثاني، لا يصيبها تغيير, وإنما يكون التغير للأعراض(١٢٤).

قال ابن تيمية رحمه الله: ((وهؤلاء يقولون إن الأجسام لا يستحيل بعضها إلى بعض, بل الجواهر التي كانت مثلا في الأول هي بعينها باقية في الثاني, وإنما تغيرت أعراضها, وهذا خلاف ما أجمع عليه العلماء أئمة الدين وغيرهم من العقلاء من استحالة بعض الأجسام إلى بعض, كاستحالة الإنسان وغيره من الحيوان بالموت تراباً, واستحالة الدم والميتة والخنزير وغيرها من الأجسام النجسة ملحا أو رماداً, واستحالة العذرات تراباً, واستحالة العصير خمراً, ثم استحالة الخمر خلاً, واستحالة ما يأكله الإنسان ويشربه بولاً ودماً وغائطاً ونحو ذلك, وقد تكلم علماء المسلمين في النجاسة: هل تطهر بالاستحالة أم لا؟ و لم ينكر أحد منهم الاستحالة))(١٢٥).

رابعاً- القول بتناهي قدرة الله تعالى وفناء مقدوراته:

أراد المتكلمون من القول بالجوهر الفرد كذلك: إثبات علم الله وقدرته بزعمهم, فلو لم تتألف الأجسام من أجزاء متناهية لا تتجزأ؛ لم يكن الله محيطاً بعلم كل الأشياء, ولا كانت قدرته شاملة لكل شيء.

وهذه حجة عليهم, ولازم قولهم بالجوهر الفرد؛ فإن أول من قال بالجواهر الفردة هو «أبو الهذيل العلاف المعتزلي» كما مر معنا. وقد أدى به هذا إلى القول ((بفناء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فَناء مقدوراته

١٢٣ النبوات, لابن تيمية: ٣١٩/١. وينظر لابن تيمية: نقد مراتب الإجماع: ص١٧١.

١٢٤ ينظر: شرح المقاصد: ١٠٥/٥-١٠٧.

١٢٥ منهاج السنة, لابن تيمية: ١٣٩/٢-١٤٠. وينظر الكتاب نفسه: ٣٢٠/١., ٣١٧/١-٣١٨, ١٠٩٦/٢-١١٠١, وينظر للمؤلف منهاج السنة: ١٣٨/٢-١٤١. والصفدية: ص١٤٤-١٤٥. و جامع المسائل, المجموعة الخامسة: ص١٧٠-١٧٢.

قادراً على شيء))[١٢٦] فقدرة الله تعالى في نظر العلاف محدودة وتنتهي إلى حد, لا يقدر الله تعالى بعدها على شيء, وهذا الرأي الفاسد منه ما هو إلا نتيجة لاعتقاده بالجوهر الفرد.

((والقول بفناء مقدورات الله, وكذلك بفناء نعيم أهل الجنة, وعذاب أهل النار, فضيحتان من فضائح أبي الهذيل العلاف. والحق أنه لم يتورط في هاتين الفضيحتين إلا لأنه حاول أن يثبت حدوث العالم عن طريق القول بالجوهر الفرد، فقد توهم أن قوله تعالى: إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ [البقرة:٢٠], لا يمكن أن يكون صادقاً إلا إذا كان الشيء محدوداً متناهياً مكوناً من أجزاء لا تتجزأ, حتى يتسنى لنا أن نتحدث عن قدرة أو علم أو إحصاء. وفاته أن قدرة الله تعالى لا متناهية, وأنها لا تثبت بشيء ما؛ لأن الله ليس كمثله شيء. وقد ترتب على هذا أيضاً أن العلاف عندما أراد أن يثبت أن للعالم أولاً, وتوهم أنه لن يتسنى له ذلك إلا إذا أقر بأن قدرة الله لها آخر تقف عنده, وهذا قول لم يكن يقول به العلاف لو أنه كان جاهلاً بالجواهر الفردة))[١٢٧].

يقول عبدالقاهر البغدادي: ((فمن فضائح أبي الهذيل: قوله بفَنَاء مقدورات الله عز وجل حتى لا يكون بعد فناء مقدوراته قادراً على شيء؛ ولأجل هذا زعم أن نعيم أهل الجنة وعذاب أهل النار يفنيان, ويبقى حينئذ أهل الجنة وأهل النار خامدين لا يقدرون على شيء, ولا يقدر الله عز وجل في تلك الحال على إحياء ميت, ولا على إماته حي, ولا على تحريك ساكن, ولا على تسكين متحرك, ولا على إحداث شيء, ولا على إفناء شيء, مع صحة عقول الأحياء في ذلك الوقت. وقوله في هذا الباب شر من قول من قال بفناء الجنة والنار, كما ذهب إليه جهم؛ لأن جهماً– وإن قال بفنائهما– فقد قال بأن الله عز وجل، قادر بعد فنائهما على ان يخلق أمثالهما, وأبو الهذيل يزعم أن ربه لا يقدر بعد فناء مقدوراته على شيء))[١٢٨].

خامساً- القول بتماثل الجواهر:

قال المتكلمون بتماثل الجواهر, وأنها كلها من جنس واحد, لا فرق بينها. يقول الآمدي: ((اتفقت الأشاعرة وأكثر المعتزلة على أن الجواهر متماثلة متجانسة))[١٢٩]. ويقول أبو رشيد النيسابوري, من معتزلة البصرة: ((ذهب

١٢٦ الفرق بين الفرق: ص١٢٢.
١٢٧ محاضرات في الفلسفة الإسلامية, د. يحيى هويدي: ص١٣٨.
١٢٨ الفرق بين الفرق: ص١٢٢, وينظر: مقالات الإسلاميين: ١/١٦٣, والتمهيد للباقلاني: ص٢٩٠, والملل والنحل لعبدالقاهر البغدادي: ص٨٨, والفصل لابن حزم: ٥/٥٨, ومنهاج السنة: ١/٣٥١, وحادي الأرواح: ص٥٧٧.
١٢٩ أبكار الأفكار: ٣/٣٦.

شيوخنا إلى أن الجواهر كلها جنس واحد))[١٣٠] . ويقول عبدالقاهر البغدادي: ((إن الجواهر جنس واحد وإن اختلفت في الصور والهيئات لاختلاف ما فيها من أعراض))[١٣١] . ولا شك في أن قول المتكلمين بتماثل الجواهر يلزم منه تماثل الأجسام؛ لأنها مركبة من الجواهر المتماثلة، و إنما اختلفت باختلاف الأعراض. قال شيخ الإسلام : ((ومن العجب أن كلامه-أي الآمدي- وكلام أمثاله يدور في هذا الباب على تماثل الأجسام. وقد ذكر النزاع في تماثل الأجسام، وأن القائلين بتماثلها من المتكلمين بنوا ذلك على أنها مركبة من الجواهر المنفردة, وأن الجواهر متماثلة. ثم أنه في مسألة تماثل الجواهر ذكر أنه لا دليل على تماثلها, فصار أصل كلامهم الذي ترجع إليه هذه الأمور كلاماً بلا علم, بل بخلاف الحق))[١٣٢] . ثم قال: ((وجمهور الناس على أن الأجسام مختلفة)) [١٣٣] . ويلزم من قول المتكلمين بتماثل الجواهر والأجسام أنه ((لا فرق في الحقيقة بين جسم النار وجسم الماء ولا بين جسم الذهب وجسم الخشب، ولا بين المسك والرجيع، وإنما تفترق بصفاتها وأعراضها مع تماثلها في الحد والحقيقة))[١٣٤] .

ونتيجة لقول أغلب المتكلمين بتماثل الجواهر والأجسام، فقد أنكروا صفات الله تعالى ونفوها خوفاً من التشبيه بزعمهم[١٣٥].

قال القاضي عبدالجبار: ((إن الدلالة قد دلت على أن الأجسام متماثلة, وإذا ثبت تماثلها, لم يصح إلا أن يستوي الكل في استحقاق الصفة الذاتية, فلو كان- تعالى- جسماً, لكان ماعداه من الأجسام قديماً مثله))[١٣٦] .

وقال التفتازاني: ((إن الأجسام متماثلة، أي متحدة الحقيقة، وإنما الاختلاف بالعوارض، وهذا أصل يبتنى عليه كثير من قواعد الإسلام، كإثبات القادر المختار، وكثير من أحوال النبوة والمعاد... ومبنى هذا الأصل عند المتكلمين على أن أجزاء الجسم ليست إلا الجواهر الفردة, وأنها متماثلة لا يتصور فيها اختلاف حقيقة))[١٣٧] .

---

١٣٠ المسائل في الخلاف: ص٢٩. وينظر المحيط بالتكليف: ١/١٩٨-١٩٩, والتذكرة في الجواهر والأعراض: ص١٣٧.
١٣١ أصول الدين: ص٣٥.
١٣٢ درء تعارض العقل والنقل: ٤/١٧٦. وينظر كلام الآمدي في كتابه أبكار الأفكار: ٣/٣٦.
١٣٣ درء تعارض العقل والنقل: ٤/١٧٨.
١٣٤ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل, لابن القيم: ١/١٢٧.
١٣٥ ينظر: شرح الأصول الخمسة, للقاضي عبدالجبار: ص٢١٩.
١٣٦ المحيط بالتكليف, للقاضي عبدالجبار: ١/١٩٩.
١٣٧ شرح المقاصد: ٣/٨٣.

وقول المتكلمين بتماثل الأجسام قول يخالف النقل والعقل, وقد نفى المولى جل وعلا في محكم التتريل تساوي بعض الأجسام وتماثلها, ونفي ذلك عن بعض الأعراض, فقال سبحانه: ﴿مَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَـٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ [فاطر:١٩-٢٢] , وقال تعالى: قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ [الزمر:٩]... فنفى أن يكون بعض الأجسام مثلا أو مساوياً لغيره. ومخالفته للعقل واضحة: فلا يقول عاقل أن الهواء هو الماء, أو التراب, ولا أن الحيوان مماثل للنبات.

قال شيخ الإسلام رحمه الله:- ((العقل يعلم أن الأعراض مثل الألوان تشتبه في كونها ألواناً, مع أن السواد ليس مثل البياض, وكذلك الأجسام والجواهر عند جمهور العقلاء تشتبه في مسمى الجسم والجوهر وإن كانت حقائقها ليست متماثلة, فليست حقيقة الماء مماثلة لحقيقة التراب, ولا حقيقة النبات مماثلة لحقيقة الحيوان, ولا حقيقة النار مماثلة لحقيقة الماء، وإن اشتركا في أن كلا منهما جوهر وجسم وقائم بنفسه))[١٣٨] . وقال: ((وذلك أنهم يقولون: إن كل ماهو عالم بعلم وقادر بقدرة وحي بحياة ونحو ذلك فهو من جنس واحد, وهو متماثل، لأنه متحيز, والمتحيزات كلها متماثلة. ويقولون: كل ما هو فوق شيء فإنه من جنس واحد متماثل؛ لأنه متحيز, والمتحيزات متماثلة. ويقولون: كل ماله سمع وبصر فهو من جنس واحد وهو متماثل؛ لأنه من المتحيزات التي هي متماثلة. وهذا كله قول الجهمية والمعتزلة وغيرهم. وقد سلك الرازي ذلك في قوله: إن الأجسام متماثلة؛ لكن قصده به نفي العلو على العرش ونفي الصفات الخبرية. وأما المعتزلة ونحوهم من الجهمية الذين ابتدعوا هذا القول أولاً مقصودهم به النفي المطلق, وكل ذلك بناء على أن جعلوا الله عدلاً وسمياً وكفواً في كل ما هو موصوف به, حتى إن غاليتهم من الملاحدة والجهمية يقولون: كل ما يقال له حي وعالم وقادر فهو جنس واحد متماثل, هؤلاء جعلوا الله عدلاً وسمياً وكفواً ونداً في كل ماله من الأسماء والصفات, حتى لزم من ذلك أن يكون كل جسم عدلاً لله ومثلاً وكفواً حتى البقة والبعوضة! وان يكون كل حي عدلاً لله وكفوا وسميا, وكل ذلك بناء على أن كل ما هو مسمى بهذه الاسم موصوف بهذه الصفات فانه جنس واحد متماثل, وهذا من أعظم العدل بالله, وجعل الأنداد لله))[١٣٩] .

سادساً- الاستدلال بالجوهر الفرد على حدوث العالم:

إن غرض المتكلمين من إثبات الجوهر الفرد هو إثبات حدوث العالم بزعمهم, وذلك أن القول بوجود أجزاء

١٣٨ الجواب الصحيح: ٣/٤٤٥.

١٣٩ بيان تلبيس الجهمية: ٣/٥٦٢-٥٦٣.

غير متناهية يلزم منه القول بقدم العالم. فالعالم إذا لم ينته في القسمة إلى أجزاء لا تتجزأ، لم يكن له أول, بل هو قديم غير محدث. قال ابن تيمية رحمه الله:- ((وأصل هؤلاء المتكلمين- من الجهمية المعتزلة ومن وافقهم- الذي بنوا عليه هذا، هو مسألة الجوهر الفرد. فإنهم ظنوا أن القول بإثبات الصانع, وبأنه خلق السموات والأرض, وبأنه يقيم القيامة, ويبعث الناس من القبور, لا يتم إلا بإثبات الجوهر الفرد, فجعلوه أصلا للإيمان بالله واليوم الآخر))[١٤٠].

ودليل الحدوث، الذي يستدل به المتكلمون على حدوث العالم, يتلخص في أن جميع الأجسام تتألف من أجزاء، وهذه الأجزاء تنقسم حتى تصل إلى جزء لا يمكن أن تنقسم بعده, هو الجزء الذي لا يتجزأ, أو الجوهر الفرد، وكل الجواهر لا تخلو من أكوان أربعة وهي الحركة والسكون والاجتماع والافتراق, وهذه الأكوان ليست راجعة إلى ذات الجوهر؛ لأن الجوهر في حالة سكونه وحركته، هو شيء واحد,بل هي زائدة على ذاته, يسمونها: أعراضاً، والعرض معنى زائد على الجوهر, والأعراض حادثة لأنها متغيرة، وما دامت الجواهر لا تخلو أبداً عن الأعراض، فالجواهر إذن حادثة، والأجسام حادثة، والعالم حادث، ومن ثَم فلابد له من محدث وهو الله سبحانه وتعالى[١٤١].

وقد استقى المتكلمون طريقتهم في إثبات حدوث العالم من متكلمي أهل الكتاب، كما صرح بذلك الفيلسوف اليهودي موسى بن ميمون, حيث يقول: ((ولاشك أن ثم أشياء تعمنا ثلاثتنا, أعني اليهود والنصارى والإسلام, وهو القول بحدوث العالم الذي بصحته تصح المعجزات وغيرها... فلما نظرت في كتب هؤلاء المتكلمين حسب ما تيسر لي... ووجدت طريقة المتكلمين كلها طريقاً واحداً بالنوع, وإن اختلفت أصنافه))[١٤٢].

يقول الدكتور يحيى هويدي: ((هذا الأصل متواه ضعيف؛ وذلك لأن الباحث الموضوعي إذا وضع أمامه الحجج التي قيلت في الدفاع عن الجوهر الفرد, أو في إثبات وجوده, والحجج التي قيلت في إنكار وجوده, ووضع في اعتباره من ناحية ثانية أن من قال بوجوده إما أنه انتهى إلى الحدوث أو انتهى إلى القدم, ثم وضع في اعتباره من ناحية ثالثة أن من أنكره إما أنه انتهى إلى الحدوث أو انتهى إلى القدم أيضاً, فلابد أن ينتهي من ذلك أنه لا علاقة لمسألة الجوهر الفرد بإثبات حدث العالم أو إنكاره, أو أنها عندما وضعت لإثبات حدث العالم، فقد وضعت في

---

١٤٠ بيان تلبيس الجهمية: ٢/٢٤٣.

١٤١ ينظر: التمهيد للباقلاني: ص٤١, والمحيط بالتكليف للقاضي عبدالجبار: ١/٣٦, والإرشاد للجويني: ص٣٩, تبصرة الأدلة للنسفي: ١/٦١, والتمهيد لقواعد التوحيد, لأبي الثناء اللامشي: ص٤٨, و الصواعق المرسلة, لابن القيم: ٣/٩٨٥.

١٤٢ دلالة الحائرين: ص١٨١-١٨٢.

غير موضعها))[١٤٣].

المبحث الرابع: حكم الاعتقاد بالجوهر الفرد:

لم يبعث الله تعالى رسوله محمداً – صلى الله عليه وسلم – ليدعو الناس إلى الاعتقاد في الجوهر الفرد, كما لم يأمره– جل وعلا– بالاستدلال بالجواهر والأعراض عليه سبحانه وتعالى. ولم يرو عن أهل القرون الثلاثة المفضلة وهم الصحابة والتابعون وتابعوا التابعين الاعتقاد في الجوهر الفرد, وهم سلف الأمة, والأئمة الذين يقتدى بهم في أصول الدين وفروعه. كما أنهم لم يبنوا شيئاً من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد ولا انتفائه. وإنما حدثت هذه البدعة نتيجة لاختلاط بعض المسلمين بأهل الكتاب والصابئة والمجوس من جهة, ولترجمة كتب الفلسفة والمنطق من جهة أخرى.

قال أبو المظفر السمعاني: ((وقد علمنا أن النبي لم يدعهم في هذه الأمور إلى الاستدلال بالأعراض والجواهر وذكر ماهيتهما, ولا يمكن لأحد من الناس أن يروي في ذلك عنه ولا عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم من هذا النمط حرفاً واحداً فما فوقه, لا في طريق تواتر ولا آحاد فعلمنا أنهم ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء وسلكوا غير طريقهم وأن هذا طريق محدث مخترع لم يكن عليه رسول الله ولا أصحابه رضي الله عنهم, وسلوكه يعود عليهم بالطعن والقدح ونسبتهم إلى الجهل وقلة العلم في الدين واشتباه الطريق عليهم))[١٤٤].

وقال الخطابي: ((وقد علمنا يقينا أن النبي– صلى الله عليه وسلم –لم يدعهم في أمر التوحيد إلى الاستدلال بالأعراض وتعلقها بالجواهر وانقلابها فيها, إذ لا يمكن أحد من الناس أن يروي في ذلك عنه, ولا عن أصحابه من هذا النمط حرفاً واحداً فما فوقه, لا من طريق تواتر ولا آحاد, علم أنهم قد ذهبوا خلاف مذهب هؤلاء, وسلكوا غير طريقتهم, ولو كان في الصحابة قوم يذهبون مذاهب هؤلاء في الكلام والجدال، لعدوا في جملة المتكلمين ولنقل إلينا أسماء متكلميهم, كما نقل أسماء فقهائهم وقرائهم وزهادهم فلما لم يظهر ذلك دل على أنه لم يكن لهذا الكلام عندهم أصل))[١٤٥].

وقال أبو الوفا بن عقيل: ((أنا أقطع أن الصحابة ماتوا وما عرفوا الجوهر والعرض، فإن رضيت أن تكون مثلهم

---

١٤٣ محاضرات في الفلسفة الإسلامية: ص١٣٢–١٣٣.

١٤٤ الانتصار لأصحاب الحديث: ص٧٠–٧١. وعنه قوام السنة في الحجة في بيان المحجة: ٢/١٥٠. وينظر درء التعارض: ١/٤٤.

١٤٥ الغنية عن الكلام, للحربي, ضمن كتاب درء التعارض لابن تيمية: ٧/٢٩٧, وصون المنطق للسيوطي: ١/١٤٢.

فكن، وإن رأيت أن طريقة المتكلمين أولى من طريقة أبي بكر وعمر فبئس ما رأيت))(١٤٦).

وقال شيخ الإسلام: ((قلت والكلام في ذلك من وجهين: أحدهما: أنا نعلم بالاضطرار من دين الإسلام أن الرسول والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين لم يبنوا شيئا من أمر الدين على ثبوت الجوهر الفرد ولا انتفائه... مسألة واحدة من مسائل الدين ولا ربطوا بذلك حكماً علمياً ولا عملياً, فدعوى المدعى انبناء أصل الإيمان بالله واليوم الآخر على ذلك يضاهي دعوى المدعي أنما بينوه من الإيمان بالله واليوم الآخر ليس هو على ما بينوه, بل إما أنهم ما كانوا يعلمون الحق أو يجوزوا الكذب في هذا الباب لمصلحة الجمهور, كما يقول نحو ذلك من يقوله من المنافقين من المتفلسفة والقرامطة ونحوهم من الباطنية, فإنهم إذا أثبتوا من أصول الدين ما يعلم بالاضطرار أنه ليس من أصول الدين؛ لزم قطعاً تغيير الدين وتبديله وبهذا زاد أهل هذا الفن في الدين ونقصوا منه علماً وعملاً, وإذا كان كذلك لم يكن الخوض في هذه المسألة مما يبنى الدين عليه, بل مسألة من مسائل الأمور الطبيعية كالقول في غيرها من أحكام الأجسام الكلية...الوجه الثاني: دعواهم أن هذا قول المسلمين, أو قول جمهور متكلمي المسلمين (١٤٧) , ومن المعلوم أن هذا إنما قاله أبو الهذيل العلاف ومن اتبعه من متكلمي المعتزلة والذين أخذوا ذلك عنهم. وقد نفى الجوهر الفرد من أئمة المتكلمين من ليسوا دون من أثبته بل الأئمة فيهم أكثر من الأئمة في أولئك))(١٤٨).

والمذهب الحق في هذه المسألة: هو مذهب السلف المبني على السمع والعقل معاً, فهم مخالفون للمتكلمين الذين يرون أن الجسم يقبل القسمة حتى يقف عند جزء لا يتجزأ لا يمكنه أن ينقسم بعده, كما سبق بيانه. وللفلاسفة الذين يزعمون أن الجسم ينقسم إلى ما لا نهاية. يقول ابن تيمية: ((تنازع الناس في الجسم هل يقبل القسمة إلى غاية محدودة هي الجوهر الفرد أو يقبل القسمة إلى غير غاية أو يقبل القسمة إلى غاية من غير إثبات الجوهر الفرد على ثلاثة أقوال: والثالث هو الصواب فإن إثبات الجوهر الفرد الذي لا يقبل القسمة باطل بوجوه كثيرة إذ ما من موجود إلا ويتميز منه شيء عن شيء وإثبات انقسامات لا تتناهى فيما هو محصور بين حاصرين ممتنع لامتناع وجود ما لا يتناهى فيما يتناهى وامتناع انحصاره فيه))(١٤٩).

---

١٤٦ تلبيس إبليس, لابن الجوزي: ص١٠٥.
١٤٧ ينظر الشامل، للجويني: ص١٤٣. وأبكار الأفكار, للآمدي: ٦١/٣.
١٤٨ بيان تلبيس الجهمية: ٢/٢٥٠-٢٥٤. وينظر مجموع الفتاوى: ٣١٦/١٧. ودرء التعارض: ٣٩١/٥.
١٤٩ الصفدية: ص١٤٤-١٤٥. أضواء السلف.

فالجسم قابل للانقسام إلى أن تصل أجزاؤه إلى غاية في الصغر, ثم بعد ذلك يستحيل أو يتحول إلى مادة أخرى على خلاف ما كان عليه الجسم الأول, وهذا القول هو الذي يوافق النصوص. يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر: هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا [الإنسان:١], وقال تعالى مخاطباً زكريا عليه السلام: قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا [مريم:٩], فبين تعالى أنه خلق الناس من عدم, وليس من جواهر فردة كما زعم بعض المتكلمين. كما بين تعالى استحالة الشيء إلى شيء آخر, فقال: ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ [يس:٨٠], فهنا استحال الشجر الأخضر إلى نار تتوقد. كما استحال الماء المهين إلى بشر كامل الخلقة, قال تعالى" وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا ۗ وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا [الفرقان:٥٤], والأمثلة كثيرة.

قال ابن تيمية: ((والتحقيق أن كلا المذهبين باطل, والصواب ما قاله من قاله من الطائفة الثالثة المخالفة للطائفتين: أن الأجسام إذا تصغرت أجزاؤها, فإنها تستحيل, كما هو موجود في أجزاء الماء إذا تصغر فإنه يستحيل هواءً أو تراباً, فلا يبقى موجود ممتنع عن القسمة, كما يقوله المثبتون له, فإن هذا باطل بما ذكره النفاة من أنه لا بد أن يتميز جانب له عن جانب, ولا يكون قابلاً للقسمة إلى غير نهاية؛ فإن هذا أبطل من الأول))[١٥٠].

وقال رحمه الله: ((والخلق يشهدون إحداث الله لما يحدثه وإفناءه لما يفنيه, كالمني الذي استحال وفنا وتلاشى وأحدث منه هذا الإنسان, وكالحبة التي فنيت واستحالت وأحدث منها الزرع, وكالهواء الذي استحال وفنا وحدث منه النار أو الماء, وكالنار التي استحالت وحدث منها الدخان. فهو سبحانه دائما يحدث ما يحدثه ويكونه, ويفني ما يفنيه ويعدمه, والإنسان إذا مات وصار تراباً، فني وعدم. وكذلك سائر ما على الأرض كما قال: كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ [الرحمن:٢٦], ثم يعيده من التراب كما خلقه ابتداء من التراب ويخلقه خلقاً جديداً؛ ولكن للنشأة الثانية أحكام وصفات ليست للأولى, فمعرفة الإنسان بالخلق الأول, وما يخلقه من بني آدم وغيرهم من الحيوان وما يخلقه من الشجر والنبات والثمار وما يخلقه من السحاب والمطر وغير ذلك, هو أصل لمعرفته بالخلق والبعث والمبدأ والمعاد))[١٥١].

وقال ((والحق أن المادة التي منها يخلق الثاني تفسد وتستحيل وتفنى وتتلاشى, ويُنشئ الله الثاني ويبتدئه ويخلق من غير أن يبقى من الأول شيء؛ لا مادة ولا صورة ولا جوهر ولا عرض, فإذا خلق الله الإنسان من المني؛ فالمني

١٥٠ بيان تلبيس الجهمية: ٢/٢٥٨.
١٥١ النبوات, لابن تيمية: ١/٣٢٠.

استحال وصار علقة, والعلقة استحالت وصارت مضغة, والمضغة استحالت إلى عظام وغير عظام, والإنسان بعد أن خُلِقَ, خُلِقَ كله جواهره وأعراضه, وابتدأه الله ابتداء كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَـٰنِ مِن طِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَـٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ﴾ [السجدة:٧-٨] , وقال تعالى﴿ أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا خَلَقْنَـٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم:٦٧] , فالإنسان مخلوق, خلق الله جواهره وأعراضه كلها من المني, من مادة استحالت ليست باقية بعد خلقه))[١٥٢].

ولقد وجهت اعتراضات وانتقادات لنظرية الجوهر الفرد, منها:

أولاً- من أهم الانتقادات التي وجهت للقائلين بالجوهر الفرد، إنكار القائلين به أن تكون له مساحة في حالة انفراده؛ ذلك أن الجوهر يوجد بين جواهر مماثلة له؛ فإذا جوزنا تماسّها[١٥٣], لم يكن لنا محيص من التسليم بانقسام الجوهر إلى أجزاء؛ لأن جزءه الذي يماسّ جوهراً غير جزئه الذي يماسُّ جوهراً آخر[١٥٤].

ثانيا- بما أن الجهات المعروفة هي ست جهات, فلابد أن يماس الجوهر ستة من أمثاله, بحسب عدد هذه الجهات, إذاً فله أجزاء كل جزء يماس جهة من الجهات الست, ولو لم يكن له جهات للزم أن تشغل الجواهر كلها حيزاً واحداً, وهذا يؤدي إلى نتيجة باطلة, وهي أن حجم الكتلة الكبيرة يساوي حجم الكتلة الصغيرة, وهذا باطل[١٥٥].

ثالثاً- أيضاً خروج النار إذا اصطدم جسمان صلبان اصطداماً شديداً؟ هل هناك أجزاء لا تتجزأ من النار كامنة في الحديد أو في الصخر؟ لماذا لا تخرج أجزاء النار من تلقاء نفسها على هيئة شرار؟ أو كيف يمكن أن تبقى أجزاء النار في مادة باردة جداً في الحديد أو الصخر على سبيل المثال[١٥٦]؟

---

١٥٢ المماسة هي: تناهي نهايات الجسمين إلى خط مشترك بينهما (ينظر: الحدود والرسوم للكندي: ص٦٨). أو هي- على قول الأشعري-: ((كون الجوهر مع الجوهر بحيث لا يصح أن يتوسطهما ثالث وهما على ما هما عليه)) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري, لابن فورك: ص٢٧. وينظر الحدود في الأصول, لابن فورك: ص٨٨.

١٥٣ المماسة هي: تناهي نهايات الجسمين إلى خط مشترك بينهما (ينظر: الحدود والرسوم للكندي: ص٦٨). أو هي- على قول الأشعري-: ((كون الجوهر مع الجوهر بحيث لا يصح أن يتوسطهما ثالث وهما على ما هما عليه)) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري, لابن فورك: ص٢٧. وينظر الحدود في الأصول, لابن فورك: ص٨٨.

١٥٤ ينظر: النجاة لابن سينا: ص١٣٩-١٤٠, ومذهب الذرة عند المسلمين, بينيس: ص٧-٨.

١٥٥ ينظر: النجاة لابن سينا: ص١٣٩-١٤٠, ومذهب الذرة عند المسلمين, بينيس: ص٧-٨.

١٥٦ المماسة هي: تناهي نهايات الجسمين إلى خط مشترك بينهما (ينظر: الحدود والرسوم للكندي: ص٦٨). أو هي- على قول الأشعري-: ((كون الجوهر مع الجوهر بحيث لا يصح أن يتوسطهما ثالث وهما على ما هما عليه)) مقالات الشيخ أبي الحسن

رابعاً- من صفات الجوهر الفرد عند جمهور المتكلمين عدم الامتداد في المكان, أي لا طول له ولا عرض ولا عمق؛ فإذا سلمنا بهذه الصفات فكيف أصبح للجسم طول وعرض وعمق؟ إذ إن الجسم هو نتيجة للتأليف بين جوهرين فأكثر؟ فكان الأولى على قولهم أن لا يكون للجسم امتداد في المكان, وهذا محال. أيضاً: هل وقع الامتداد في المكان بالنسبة للجسم من الجوهر الأول أم الثاني؟ أم من آخر الجواهر المؤلفة للجسم؟ وهذا السؤال يبطل قولهم بالجزء الذي لا يتجزأ.

قال ابن حزم- رحمه الله- : ((وبرهان آخر وهو أنهم يقولون: إن الجزء الذي لا يتحزأ لا طول له ولا عرض ولا عمق. فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق- : إذا أضفتم إلى الجزء الذي لا يتحزأ عندكم جزءاً آخر مثله لا يتجزأ, أليس قد حدث لهما طول؟ فلا بد من قولهم: نعم, لا يختلفون في ذلك. ولو أنهم قالوا: لا يحدث لهما طول؛ للزمهم مثل ذلك في إضافة جزء ثالث ورابع وأكثر, حتى يقولوا: إن الأجسام العظام لا طول لها, ويحصلوا في مكابرة العيان. فنقول لهم: إذا قلتم إن جزءاً لا يتجزأ لا طول له إذا ضم إليه جزء آخر لا يتجزأ, ولا طول له, فأيهما يحدث له طول؟ فقولوا لنا: هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها: إما أن يكون هذا الطول لأحدهما دون الآخر, أو لا لواحد منهما، أو كليهما, فإن قلتم: ليس هذا الطول لهما, ولا لواحد منهما, فقد أوجبتم طولاً لا لطويل, وطولاً قائماً بنفسه, والطول عرض, والعرض لا يقوم بنفسه, وصفة والصفة لا يمكن أن توجد إلا في موصوف بها, ووجود طول لا لطويل مكابرة ومحال. وإن قلتم: إن ذلك الطول هو لأحد الجزأين دون الآخر؛ فقد أحلتم وأتيتم بما لا شك بالحس وضرورة العقل في بطلانه, ولزمكم أن الجزء الذي لا يتجزأ له طول. وإذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ، وهذا ترك منكم لقولكم, مع أنه أيضا محال؛ لأنه يجب من هذا أنه يتحزأ ولا يتجزأ, وإن قلتم: إن ذلك الطول للجزأين معاً, صدقتم وأقررتم بالحق في أن كل جزء منهما فله حصته من الطول, والحصة من الطول طول بلا شك, وإذا كان كل واحد منهما له طول: فكل واحد منهما يتجزأ وهذا خلاف قولكم أنه لا يتجزأ))[157].

خامساً- من صفات الجوهر الفرد عند عامة المتكلمين أن يكون متحيزاً- كما سبق ذكره- وكونه متحيزاً ينافي عدم قابليته للانقسام؛ وهذا تناقض بين, إذ يلزم من تحيز الجوهر أن له جهات مختلفة, وهذا يلزم منه الانقسام.

قال ابن حزم- رحمه الله-: ((ثم يقال لهم: أخبرونا عن الجزء الذي ذكرتم أنه لا يتجزأ, وهو على قولكم في

الأشعري, لابن فورك: ص٢٧. وينظر الحدود في الأصول, لابن فورك: ص٨٨.

١٥٧ ينظر: النجاة لابن سينا: ص١٣٩-١٤٠, ومذهب الذرة عند المسلمين, بينيس: ص٧-٨.

مكان؛ لأنه بعض من أبعاض الجسم, هل الملاقي منه للمشرق هو الملاقي للمغرب أم غيره؟ وهل المحازي منه للسماء هو المحازي منه للأرض أم غيره؟ فإن قالوا: كل ذلك واحد, والملاقي منه للمشرق هو الملاقي منه للمغرب, والمحازي منه للسماء هو المحازي منه للأرض, أتوا بإحدى العظائم, وجعلوا جهة المشرق منا هي جهة المغرب, وجعلوا السماء والأرض منه في جهة واحدة, وهذا حمق لا يبلغه إلا الموسوس, ومكابرة للعيان لا يرضاها لنفسه سالم البنية. وإن قالوا: بل الملاقي منه للمشرق هو غير الملاقي منه للمغرب, وأن السماء والأرض منه في جهتين متقابلتين فوق وأسفل: صدقوا, وهكذا جهة الجنوب والشمال, فإذ ذلك كذلك بلا شك، فقد صح أنه ذو جهات ست متغايرة, وهذا إقرار منهم بأنه ذو أجزاء؛ إذ قطعوا بأن الملاقي منه للمغرب غير الملاقي منه للمشرق, ومن للتبعيض, وبطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين))[١٥٨].

سادساً- إذا وُضِع جوهرٌ فرد بين جوهرين فردين, فإنه لا يمكن تلاقيهما مادام الجوهر الثالث بينهما ((وحينئذ يقال: إما أن يكون ما مسه أحدهما من هذا الوسط هو عين ما مسه الآخر بلا فارق أصلاً, وهذا محال؛ لأنه يؤدي إلى انعدام الوسط نفسه ويقتضي تلاقيهما حال وجوده بينهما. وأما أن يكون ما مسه أحدهما منه غير ما مسه الآخر, وهذا يقتضي قبوله للانقسام؛ فيبطل ما زعموه من عدم هذه الجواهر الفردة للقسمة أيضاً))[١٥٩].

يقول ابن تيمية: ((وأما مخالفة العقل فإثبات الجوهر الفرد، إثبات شيء موجود لا يتميز منه شيء عن شيء, فإذا وُضِع جوهرٌ بين جوهرين, فإن كان الذي يُمَاسُّ هذا الجانب فقد التقى الجوهران, وإن كان غيره فقد ثبت الانقسام))[١٦٠].

كما أن هناك من نقد القول بالجوهر الفرد من المتكلمين أنفسهم, فقد انتقد الآمدي تقسيم الأجسام إلى جواهر وأعراض من جوانب منها:

---

١٥٨ المماسة هي: تناهي نهايات الجسمين إلى خط مشترك بينهما (ينظر: الحدود والرسوم للكندي: ص٦٨). أو هي- على قول الأشعري-: ((كون الجوهر مع الجوهر بحيث لا يصح أن يتوسطهما ثالث وهما على ما هما عليه)) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري, لابن فورك: ص٢٧. وينظر الحدود في الأصول, لابن فورك: ص٨٨.

١٥٩ شرح القصيدة النونية, محمد خليل هراس: ٢/٢٩.

١٦٠ المماسة هي: تناهي نهايات الجسمين إلى خط مشترك بينهما (ينظر: الحدود والرسوم للكندي: ص٦٨). أو هي- على قول الأشعري-: ((كون الجوهر مع الجوهر بحيث لا يصح أن يتوسطهما ثالث وهما على ما هما عليه)) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري, لابن فورك: ص٢٧. وينظر الحدود في الأصول, لابن فورك: ص٨٨.

١- أنه لا يمكن تطبيقه على جميع المخلوقات، لأن ذلك خارج مشاهدة البشر[١٦١].

٢- وجود جواهر مجردة عن المادة كالعقول أو النفوس. يقول الآمدي: ((العلم بصحة مدلول هذا الدليل يتوقف على حصر الجواهر والموجودات, فيما هو قابل للاجتماع والافتراق؛ إذ ربما يقول الخصم بوجود جواهر مجردة عن المادة وعلائق المواد, لا تقبل الاجتماع والافتراق, ولا يصح القول بكونها مجتمعة ولا متفرقة؛ لكونها عقولاً محضة))[١٦٢].

٣- الجواهر والأجسام العلوية الفلكية لا يمكن التثبت من قبولها للاجتماع والافتراق, يقول الآمدي: ((لابد من بيان أن ما حصل بين الجواهر أو بعضها من الاجتماع أو الافتراق مما لا تقتضيه بذواتها؛ إذ ربما لا يسلمه الخصم عناداً, بالنسبة إلى بعض الجواهر, كالاجتماع الكائن بين الأجرام الفلكية والجواهر العلوية, وكذلك بعض الافتراقات لبعض الأجرام أيضاً, فمجرد الدعوى في ذلك غير كافية ولا شافية))[١٦٣].

ولأن نظرية الجوهر الفرد ليس مجمعاً عليها حتى بين الأشاعرة أنفسهم؛ فقد وقع تناقض عند بعض علماء الأشاعرة الكبار بين القول بالجوهر الفرد أو نفيه, فأبو حامد الغزالي نفى الجوهر الفرد في بعض كتبه[١٦٤], في حين أنه في بعض كتبه الأخرى أقر بالجوهر الفرد[١٦٥].وأقر الرازي بالجوهر الفرد في بعض كتبه[١٦٦], وأنكره في أخرى[١٦٧], وقال التفتازاني إن الرازي مال آخر عمره إلى التوقف في القول بالجوهر الفرد[١٦٨]. كذلك الآمدي أقر بالجوهر الفرد في كتابه (أبكار الأفكار)[١٦٩], في حين أنه في كتابه (غاية المرام) [١٧٠], تراجع عن القول بالجوهر الفرد.

---

١٦١ المماسة هي: تناهي نهايات الجسمين إلى خط مشترك بينهما (ينظر: الحدود والرسوم للكندي: ص٦٨). أو هي- على قول الأشعري-: ((كون الجوهر مع الجوهر بحيث لا يصح أن يتوسطهما ثالث وهما على ما هما عليه)) مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري, لابن فورك: ص٢٧. وينظر الحدود في الأصول, لابن فورك: ص٨٨.

١٦٢ نهاية المرام, للآمدي: ص٢٤٨.

١٦٣ المصدر السابق: ص٢٤٩.

١٦٤ ينظر: مقاصد الفلاسفة: ص٧٤. والمنقذ من الضلال: ص٩٢-٩٣.

١٦٥ ينظر: الاقتصاد في الاعتقاد: ص٩١, وقواعد العقائد: ص١٥٩.

١٦٦ ينظر: الأربعين في أصول الدين: ٢/٢٤٧, ومحصل أفكار المتقدمين: ص٢٣١.

١٦٧ ينظر: المباحث المشرقية: ١/٤١٨, ٢/١١.

١٦٨ ينظر: شرح العقائد النسفية, للتفتازاني: ص٢٨.

١٦٩ ينظر: أبكار الأفكار, للآمدي: ٣/٥٥.

١٧٠ ينظر: غاية المرام في علم الكلام, للآمدي: ص٢٤٨-٢٤٩.

أيضاً أثبتت النظريات العلمية الحديثة صحة ما ذهب إليه السلف، من أن الأجسام إذا بلغت الغاية في الصغر فإنها تستحيل إلى مادة أخرى, ولا تبقى على حالتها الأولى.

فلقد أثبت العلم الحديث أن المادة تتحول إلى طاقة, وبمعنى آخر أن الذرة تتحول إلى إشعاع ولا تبقى على حالتها الأولى [١٧١] . ففي عام ١٨٩٧م بدأ الاعتقاد بعدم قابلية الذرة للتحول أو التغير يزول, حيث تم في هذا العام اكتشاف الإلكترون الذي هو أدق من الذرة وذو شحنة سالبة, ويوجد في ذرات العناصر مهما اختلفت [١٧٢] . وفي الوقت نفسه الذي كان فيه البحث النظري يسعى إلى معرفة بنية الذرة: تم اكتشاف النشاط الإشعاعي واكتشاف الراديوم المشع- أكثر العناصر إشعاعاً- وهذه الإشعاعات الصادرة من ذرة الراديوم تتكون من ثلاثة أنواع, هي: جسيمات ألفا, ثم جسيمات بيتا, ثم أشعة جاما أو الأشعة السينية, وهذه الإشعاعات الصادرة عن الراديوم هي نتيجة لتحلل ذراته [١٧٣] .

وفي مستهل القرن العشرين تم اكتشاف أن الذرة شيء مركب يمكن تجزئته وتفتيته, إلى ما هو أصغر منها: فقد اكتشف الانجليزي جوزيف جون طومسون (١٨٥٦-١٩٤٠م) الإلكترون- أحد مكونات الذرة- ثم اكتشف إرنست رادفورد النواة, وهي جزيء آخر داخل الذرة. كما تبين له وجود ذرات لها خاصة النشاط الإشعاعي, وأن مثل هذه الذرات تصدر نواتها أشعة من ثلاثة أنواع كما سبق ذكره. كما اكتشف رادفورد: البروتون, وهو أحد مكونات النواة في الذرة, واكتشف علماء آخرون في النواة غير البروتون عنصرين آخرين هما: نيوترون, وبوزيترون. لكن الذرة تحوي أكثر من العناصر السابقة, إذ تحوي أيضاً طاقة. وهذه الطاقة تتحرك في وسط مادي, أي: تنتقل من ذرة إلى ذرة, وقد تسافر الطاقة حرة طليقة ولا ترتبط بمادة, وقد تتخذ عدة صور, هي الحرارة, والضوء, والصوت, والكهرباء, والطاقة الحركية, والطاقة الكيميائية, والمغناطيسية والجاذبية, ويمكن أن تنبعث من الذرة طاقة في صورة ضوء, وتسافر عبر الفضاء, حتى تصادف ذرة أخرى تمتص تلك الطاقة الضوئية. والضوء بدوره نوعان: مرئي وغير مرئي, والضوء غير المرئي هو الاشعاع. ويتخذ الاشعاع عدة صور, منها: موجات المذياع, والتلفزيون, والأشعة تحت الحمراء, والأشعة فوق البنفسجية, والأشعة السينية. وأبسط مثال حسي على الاشعاع، أن نأخذ بعضاً من ملح الطعام (كلوريد الصوديم)، ونضعه في درجة حرارة عالية, فيكتسب طاقة فتبدو لنا في صورة لهب [١٧٤] .

١٧١ ينظر: فلسفة العلم في القرن العشرين, د.يمنى طريف الخولي: ص١٩١-١٩٢, وينظر الكتاب نفسه: ص١١٣-١١٤.
١٧٢ ينظر: قصة العلم, ج.ج. كراوثر: ص٣٠٠-٣٠١.
١٧٣ ينظر: قصة العلم, ج.ج. كراوثر: ص٣٠٣.
١٧٤ ينظر: من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية, د.محمود فهمي زيدان: ص١٥-٢٠.

أيضاً: فإن مادة مشعة كالراديوم تشكل معيناً لا ينضب من الطاقة, تبعث منه على شكل إشعاعات, وهذه الإشعاعات لم تأت من فراغ، بل هي ناتجة عن مادة الراديوم[١٧٥]. ومن خلال الأبحاث التي قام بها اينشتين توصل إلى أن المادة والطاقة متكافئتان, أي: يمكن تحول إحداهما إلى الأخرى؛ فالكتلة طاقة مركزة, حين تتحرك المادة بسرعة الضوء نسميها طاقة أو إشعاعاً, وإذا جمدت الطاقة, وأدركنا كتلتها نسميها مادة[١٧٦].

إن تفجير الذرة لهو شاهد بين على إبطال نظرية (الجزء الذي لا يتجزأ)، وانهيار تام لعقيدة الجوهر الفرد التي تعتبر من أسس عقائد جمهور المتكلمين، ولو كان علم الكلام هو الحامل للواء الإسلام حينما فجرت الذرة، لكان ذلك سلاحاً بيد أعداء الإسلام[١٧٧].

الخاتمة:

يمكن القول: إنه آن للمتكلمين أن يصلوا صلاة الجنازة على الجوهر الفرد, وأن هذه البدعة الكلامية التي ابتدعها المتكلمون,ليس لها دليل يعول عليه من النقل أو العقل, وأن الخير كل الخير في اتباع ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم- وصحابته الكرام وسلف الأمة. كما ندعو عقلاء المتكلمين للنظر في مثل هذه العقائد التي كانت وبالاً على المسلمين, وكانت باباً ولج منه الفلاسفة والباطنيون؛ لهدم قواعد الدين. وفي الختام: أحمد الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات, هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد.

المصادر والمراجع:

١- أبكار الأفكار في أصول الدين, للإمام سيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ), تحقيق: أ.د. أحمد محمد المهدي, دار الكتب والوثائق القومية, القاهرة:١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.

٢- الأربعين في أصول الدين, فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ) تقديم وتحقيق وتعليق: د.أحمد حجازي السقا, دار الجيل, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٣- أصول الدين, عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ), دار الكتب العلمية, بيروت, الطبعة الثانية: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

---

١٧٥ ينظر: حقائق نظرية النسبية وأوهامها, سهيل نعمة: ص٦٣.

١٧٦ ينظر: من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية, د.محمود فهمي زيدان: ص٣٩-٤٠.

١٧٧ ينظر: مناهج البحث في العقيدة الإسلامية, أ.د.عبدالرحمن الزنيدي: ص١٦٧, ٤٦٢. وينظر: كذلك: الآمدي وآراؤه الكلامية, د.حسين الشافعي: ص٤١٠, والمعرفة العظمى, لمحمود أبو الفيض المنوفي: ص١٦٣-١٧١.

٤ – الاعتقادات, لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل, المشهور بـ: الراغب الأصفهاني (ت٥٠٢هـ) تحقيق: د. شمران العجلي, مؤسسة دار الأشرف, بيروت, الطبعة الأولى: ١٩٨٨م.

٥ – الاقتصاد في الاعتقاد, أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ), عُنيَ به: أنس محمد عدنان الشرقاوي, دار المنهاج, جدة, الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٦ – الآمدي وآراؤه الكلامية, د.حسن الشافعي, دار السلام, القاهرة, الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ-١٩٩٨م.

٧ – الانتصار لأصحاب الحديث, للإمام أبي المظفر منصور بن محمد السمعاني (ت٤٨٩هـ) جمع فصوله وعلق عليه: محمد بن حسين بن حسن الجيزاني, مكتبة لينة, القاهرة, ومكتبة أضواء المنار, المدينة المنورة, الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.

٨ – الانتصار والرد على ابن الراوندي الملحد, لعبدالرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي (ت في حدود سنة ٣٠٠هـ), تحقيق: للدكتور نيبرج, مكتبة الدار العربية للكتاب, القاهرة– وأوراق شرقية, بيروت, الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٩ – الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به, أبو بكر بن الطيب الباقلاني (ت٤٠٣هـ), تحقيق: عماد الدين حيدر, عالم الكتب, الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م.

١٠ – الإيضاح في أصول الدين, أبو الحسن علي بن عبيدالله بن الزاغوني (ت٥٢٧هـ) دراسة وتحقيق: عصام السيد محمود, مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية, الرياض, الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١١ – الباقلاني وآراؤه الكلامية, د.محمد رمضان عبدالله, احياء التراث بوزارة الأوقاف العراقية, بغداد: ١٩٨٦م.

١٢ – البدء والتاريخ, للمطهر بن طاهر المقدسي, دار صادر, بيروت.

١٣ – البوذية، هنري آرفون، ترجمة: هنري زغيب، المنشورات العربية، باريس، الطبعة الثانية: ١٩٨٥م.

١٤ – بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية, أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (ت٧٢٨هـ), حققه: د.يحيى بن محمد الهنيدي وآخرون, وزارة الشؤون الإسلامية /مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف– الأمانة العامة, المدينة المنورة: ١٤٢٦هـ.

١٥ – تاريخ الفلسفة, إميل برهييه, ترجمة: جورج طرابيشي, دار الطليعة, بيروت, الطبعة الثانية: ١٩٨٧م.

١٦- تاريخ الفلسفة الغربية (الكتاب الأول: الفلسفة القديمة), برتراند رسل, ترجمة: د.زكي نجيب محمود, لجنة التأليف والترجمة والنشر, القاهرة, الطبعة الثانية: ١٩٦٧م.

١٧- تبصرة الأدلة في أصول الدين على طريقة الإمام أبي منصور الماتريدي, أبو المعين ميمون بن محمد النسفي, تحقيق وتعليق: كلود سلامة, المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية, دمشق, الطبعة الأولى: ١٩٩٠م.

١٨- التذكرة في أحكام الجواهر والأعراض, الحسن بن متويه النجراني المعتزلي (ت٤٦٩هـ) تحقيق وتقديم وتعليق: د.سامي نصر لطف, د.فيصل بدير عون, تصدير: إبراهيم مدكور, دار الثقافة للطباعة والنشر, القاهرة.

١٩- تشنيف المسامع بجمع الجوامع, بدر الدين محمد بن بهادر الزركشي (ت٧٧١هـ), دراسة وتحقيق: د.عبدالله ربيع, د.سيد عبدالعزيز, مؤسسة قرطبة.

٢٠- التصور الذري في الفكر الفلسفي الإسلامي, د.منى أحمد أبو زيد, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢١- تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب, محمد بن عمر الرازي (ت٦٠٦هـ), دار إحياء التراث العربي, بيروت, الطبعة الثالثة.

٢٢- تلبيس إبليس, أبو الفرج ابن الجوزي (ت٥٩٧هـ) دار الكتاب العربي, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٢٣- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل, أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني, تحقيق: عماد الدين حيدر, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٢٤- التمهيد لقواعد التوحيد, أبو الثناء محمود بن زيد اللامشي الحنفي الماتريدي, (توفي أوائل القرن السادس الهجري) حققه: عبدالمجيد تركي, دار الغرب الإسلامي, بيروت, الطبعة الأولى ١٩٩٥م.

٢٥- تهذيب شرح السنوسية, تصنيف: سعيد عبداللطيف فودة, دار البيارق, عَمّان, الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.

٢٦- جامع اللآلي شرح بدء الأمالي في علم العقائد, للإمام سراج الدين علي بن عثمان الأوشي (٥٧٥هـ), للقاضي الشيخ محمد أحمد كنعان, دار البشائر الإسلامية, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٢٧- الجواب الصحيح, لابن تيمية، تحقيق د.علي بن حسن بن ناصر وآخرون، دار العاصمة, الرياض, الطبعة الأولى:١٤١٤هـ.

٢٨- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح, ابن قيم الجوزية, تحقيق: محمد إبراهيم الزغلي, رمادي للنشر, الدمام, الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٢٩- الحجة في بيان المحجة, قوام السنة أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني, تحقيق: د.محمد بن ربيع بن هادي المدخلي، ود.محمد بن محمود أبو رحيم, دار الراية, الرياض, الطبعة الثانية:١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٣٠- الحدود الفلسفية للخوارزمي, ضمن كتاب: رسائل منطقية في الحدود والرسوم للفلاسفة العرب, حققها: د. عبدالأمير الأعسم, دار المناهل, بيروت, الطبعة الأولى:١٩٩٣م-١٤١٣هـ.

٣١- الحدود في الأصول, أبو بكر بن فورك, تحقيق: محمد السليماني, دار الغرب الإسلامي, بيروت, الطبعة الأولى ١٩٩٩م.

٣٢- الحدود والرسوم للكندي, ضمن كتاب: رسائل منطقية في الحدود والرسوم للفلاسفة العرب, حققها: د. عبدالأمير الأعسم, دار المناهل, بيروت, الطبعة الأولى:١٩٩٣م-١٤١٣هـ.

٣٣- حقائق نظرية النسبية وأوهامها, سهيل نعمة, الدار العربية للعلوم, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

٣٤- درء تعارض العقل والنقل,أبو العباس ابن تيمية, تحقيق: د.محمد رشاد سالم, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية,الرياض,الطبعةالأولى:١٤٠٨هـ-١٩٨١م.

٣٥- الدرة فيما يجب اعتقاده, أبي محمد علي بن محمد بن حزم (ت٤٥٦هـ) دراسة وتحقيق وتعليق ونشر: د. أحمد بن ناصر الحمد, ود. سعيد بن عبدالرحمن القزقي, الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

٣٦- دلالة الحائرين, موسى بن ميمون (ت٦٠٣هـ), عارضه بأصوله العربية والعبرية: د.حسين آتاي, مكتبة الثقافة الدينية,القاهرة.

٣٧- رسائل فلسفية مضافٌ إليها قطعاً من كتبه المفقودة, أبو بكر محمد بن زكريا الرازي, دار الآفاق الجديدة[١٧٨], بيروت, الطبعة الخامسة: ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م

١٧٨

٣٨- الشامل في أصول الدين, للجويني (ت٤٧٨هـ), حققه وقدم له: علي النشار, وآخرون, منشأة المعارف الإسكندرية:١٩٦٩م

٣٩- شرح الأصول الخمسة, للقاضي عبدالجبار بن أحمد (ت٤١٥هـ), تعليق: الإمام أحمد بن الحسينبن أبي هاشم, حققه وقدم له: د.عبدالكريم عثمان, مكتبة وهبة, القاهرة, الطبعة الأولى: ١٣٨٤هـ-١٩٦٥م.

٤٠- شرح العقائد النسفية, مسعود بن عمر التفتازاني, (ت٧٩٢هـ) حققه: كلود سلامة, منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي, دمشق: ١٩٧٤م.

٤١- شرح العقيدة البرهانية=ينظر العقيدة البرهانية.

٤٢- شرح القصيدة النونية, محمد خليل هراس, الفاروق الحديثة للطباعة والنشر, القاهرة.

٤٣- شرح المقاصد, مسعود بن عمر التفتازاني (ت٧٩٣هـ), تحقيق: عبدالرحمن عميرة, عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى:١٤٠٩هـ-١٩٨٩م

٤٤- شرح المواقف, للمحقق السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني (ت٨١٢هـ) ويليه حاشيتي السيالكوتي والجلبي, منشورات الشريف الرضي.

٤٥- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والتعليل, للإمام العلامة: شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ), تحقيق: د.أحمد بن صالح الصمعاني/ د.علي بن محمد العجلان, دار الصميعي, الرياض, الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة, أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب, الشهير بابن قيم الجوزية (ت٧٥١هـ), حققه وخرّج أحاديثه وعلق عليه: د.علي بن محمد الدخيل الله, دار العاصمة, الرياض, النشرة الأولى: ١٤٠٨هـ.

٤٧- العقائد النسفية, عمر بن محمد النسفي (ت٥٣٧هـ), بعناية: بسام عبدالوهاب الجابي, الجفان والجابي/دار البشائر الإسلامية, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤١٤هـ-١٩٩٣م.

٤٨- العقيدة البرهانية والفصول الإيمانية, لأبي عمرو عثمان السلالجي (ت٥٢١هـ) مع شرح العقيدة البرهانية, لأبي

عثمان سعيد بن محمد العقباني (ت٧٢٠هـ), تحقيق: نزار حمادي, مؤسسة المعارف, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م.

٤٩- عون المريد لشرح جوهرة التوحيد, عبدالكريم تتان, ومحمد الكيلاني, دار البشائر, دمشق, الطبعة الثانية: ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

٥٠- العواصم والقواصم في الذب عن سنة أبي القاسم, محمد بن إبراهيم الوزير (ت٨٤٠هـ) حققه: شعيب الأرنؤوط, مؤسسة الرسالة, بيروت, الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.

٥١- غاية المرام في علم الكلام, لسيف الدين الآمدي (ت٦٣١هـ) تحقيق: حسن محمود عبداللطيف, المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية, القاهرة: ١٣٩١هـ-١٩٧١م.

٥٢- الغنية في أصول الدين, أبو سعيد عبدالرحمن النيسابوري المعروف بالمتولي الشافعي (ت: ٤٧٨هـ) تحقيق الشيخ: عماد الدين أحمد حيدر, مؤسسة الكتب الثقافية, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ-١٩٨٧م.

٥٣- الفرق بين الفرق, عبدالقاهر بن طاهر البغدادي (ت٤٢٩هـ), حقق أصوله: محمد محي الدين عبدالحميد, دار المعرفة, بيروت.

٥٤- الفصل في الملل والأهواء والنحل, علي بن محمد بن حزم, تحقيق: د. محمد نصر-د. عبدالرحمن عميرة, دار الجيل, بيروت: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٥٥- الفكر الشرقي: مقدمة في فكر آسيا الفلسفي، د. يونج شوون كيم، ترجمة: د. طلعت مراد بدر، د. حميد علي مفتاح، منشورات جامعة عمر المختار، البيضاء، ليبيا، الطبعة الأولى: ١٩٩٧م.

٥٦- الفكر الشرقي القديم، جون كولر، ترجمة: كامل يوسف حسين، مراجعة: د. إمام عبدالفتاح، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ-١٩٩٥م.

٥٧- الفكر الفلسفي الهندي، د. سرفبالي رادا كرشنا، د. شارلز مور، ترجمة: ندره اليازجي، دار اليقظة العربية، بيروت: ١٩٦٧م.

٥٨- فكر الهند، ألبير شويتزر، ترجمة: يوسف شلب الشام، دار طلاس، دمشق، الطبعة الأولى: ١٩٩٤م.

٥٩- الفكر اليوناني قبل أفلاطون, د. حسين حرب, دار الفارابي, بيروت, الطبعة الأولى: تشرين الثاني ١٩٧٩م.

٦٠- فكرة الجوهر في الفكر الفلسفي الإسلامي, د. سامي نصر لطف, مكتبة الحرية, القاهرة, الطبعة الأولى: ١٩٧٨م.

٦١- الفلسفة الشرقية, ألفه ونشره: د. محمد غلاب, القاهرة: ١٩٣٨م.

٦٢- القاموس المحيط, مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ), تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة, مؤسسة الرسالة, بيروت, الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٦٣- قصة العلم, ج.ج. كراوثر, ترجمة وتقديم ودراسة: د. يمنى طريف الخولي, د. بدوي عبد الفتاح, المجلس الأعلى للثقافة, القاهرة: ١٩٩٨م.

٦٤- قواعد العقائد, أبو حامد الغزالي (ت٥٠٥هـ) تحقيق وتعليق: موسى محمد علي, عالم الكتب, بيروت, الطبعة الثانية: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٦٥- الكامل في الاستقصاء فيما بلغنا من كلام القدماء, مختار بن محمود العجالي المعتزلي الشهير بـ تقي الدين النجراني (توفي في القرن السابع الهجري) دراسة وتحقيق: د. السيد محمد الشاهد, المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بوزارة الأوقاف, القاهرة: ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

٦٦- الكليات, أبو البقاء الكفوي, تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري, مؤسسة الرسالة, الطبعة الثانية: ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.

٦٧- لسان العرب, جمال الدين بن منظور, دار صادر, بيروت.

٦٨- لمع الأدلة, لأبي المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف الجويني (ت٤٧٨ هـ) تقديم وتحقيق: الدكتورة فوقية حسين محمود, راجع التحقيق: الدكتور محمود الخضري, عالم الكتب, بيروت, الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٦٩- المبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي (مطبوع مع كتاب المونادولوجيا).

٧٠- مبدأ التطور الحيوي لدى فلاسفة الإسلام, د. محفوظ علي عزام, المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٧١- المبين في شرح معاني ألفاظ الحكماء والمتكلمين, للآمدي (ت٦٣١هـ) دراسة وتحقيق: د. عبدالأمير الأعسم, دار المناهل, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٧٢- محاضرات في الفلسفة الإسلامية, د. يحيى هويدي, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة, الطبعة الأولى: ١٩٦٦م.

٧٣- محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من الحكماء والمتكلمين, محمد بن عمر بن حسين فخرالدين الرازي (ت٦٠٦هـ) تقديم وتحقيق: د.حسين آتاي, مكتبة دار التراث, القاهرة, الطبعة الأولى: ١٩٩١م-١٤١١هـ.

٧٤- مذاهب الإسلاميين, د.عبدالرحمن بدوي, دار العلم للملايين, بيروت, الطبعة الأولى: يناير ١٩٩٦م.

٧٥- المسائل في الخلاف بين البصريين والبغداديين, لأبي رشيد: سعيد بن محمد بن سعيد النيسابوري المعتزلي (ت), تحقيق, وتقديم: د. معن زيادة, ورضوان السيد, معهد الإنماء العربي, طربلس, ليبيا, الطبعة الأولى:١٩٧٩م.

٧٦- المطالب العالية من العلم الإلهي, محمد بن عمر بن حسين فخرالدين الرازي (ت٦٠٦هـ) تحقيق: د.أحمد حجازي السقا, دار الكتاب العربي, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٧٧- المعتقدات الدينية لدى الشعوب ، جفري بارندر ، ترجمة : أ.د إمام عبدالفتاح إمام، مراجعة: د. عبدالغفار ملكاوي . مكتبة مدبولي ، القاهرة ، الطبعة الثانية: ١٩٩٦م.

٧٨- المعجم الوسيط, إبراهيم مصطفى وآخرون, مجمع اللغة العربية, القاهرة- المكتبة الإسلامية, استانبول.

٧٩- المغني في أبواب العدل والتوحيد, إملاء: القاضي أبي الحسن عبدالجبار الأسدآبادي (ت٤١٥هـ), تحقيق: محمود محمد قاسم, وآخرون.

٨٠- مقاصد الفلاسفة, أبوحامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥هـ) تحقيق وتعليق: أحمد فريد المزيدي, دار الكتب العلمية, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

٨١- مقالات الشيخ أبي الحسن الأشعري, محمد بن الحسن بن فورك, تحقيق وضبط: أ.د أحمد عبدالرحيم السايح, مكتبة الثقافة الدينية, القاهرة, الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٨٢- مقالات الإسلاميين واختلافات المصلين, أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري, تحقيق: هلموت ريتر, نشر: فرانز شتاينر بفيسبادن. الطبعة الثالثة: ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٨٣- الملل والنحل، أبي منصور عبدالقادر البغدادي، تحقيق: البير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، الطبعة الثالثة: ١٩٩٢م.

٨٤- مناهج البحث في العقيدة الإسلامية, أ.د.عبدالرحمن بن زيد الزنيدي, دار أشبيليا, الرياض, الطبعة الأولى:

١٤١٨هـ-١٩٩٨م

٨٥- المنقذ من الضلال والموصل إلى ذي العزة والجلال, أبو حامد محمد بن محمد الغزالي, تحقيق: د.جميل صليبا, ود. كامل عياد, دار الأندلس, بيروت.

٨٦- من نظريات العلم المعاصر إلى المواقف الفلسفية, د.محمود فهمي زيدان, دار النهضة العربية, بيروت: ١٩٨٢م.

٨٧- منهاج السنة النبوية، أحمد بن عبدالحليم بن تيمية, تحقيق: د.محمد رشاد سالم, جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.الرياض, الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م.

٨٨- المواقف في علم الكلام, عبدالرحمن بن أحمد الايجي (ت٧٥٦هـ) , عالم الكتب, بيروت.

٨٩- موسوعة لالاند الفلسفية, أندريه لالاند, تعريب: خليل أحمد خليل, تعهده وأشرف عليه: أحمد عويدات, منشورات عويدات, بيروت-باريس, الطبعة الأولى: ١٩٩٦م.

٩٠-المونادولوجيا والمبادئ العقلية للطبيعة والفضل الإلهي, جوتفريدفيلهلم ليبنتز (ت١٧١٦م), نقلها إلى العربية وقدم لها وعلق عليها: د.عبدالغفار ملكاوي, دار الثقافة للطباعة والنشر, القاهرة: ١٩٧٨م.

٩١-النجاة في الحكمة المنطقية والطبيعية والإلهية, الحسين أبي علي بن سينا, نقحه وقدم له: د.ماجد فخري, دار الآفاق الجديدة, بيروت, الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

٩٢-نظريات نشأة الكون في الفكر الإسلامي, د.إبراهيم محمد تركي, دار الوفاء, الإسكندرية, الطبعة الأولى:٢٠٠٢م.